مع الدكتور سليمان العودة في قضية عبدالله بن سبأ ودوره في الفتنة الكبرى

المؤلف

حسن بن فرحان المالكي

يقع الكتاب في ١٢٦ صفحه تم التحميل عبر

حسن بن فرحان المالكي

مع الدكتور سليمان العودة

في قضية عبدالله بن سبأ

ودوره في الفتنة الكبرى

تمهيد:

الأخ الكريم الدكتور سليمان العودة[1] نشر مقالاته في الرد علي في مذكرة سماها (الإنقاذ من دعاوى الإنقاذ) -وبعضهم يسميها (كتاباً)- وهذه المذكرة ما هي إلا تلك المقالات التي نشرها في بعض الصحف السعودية مع زيادة مقدمة يسيرة تشكيكية وسرقة ثلاث روايات مما سبق نشرته في صحيفة الرياض بتاريخ ١٤١٨/٣/٩هـ وقد جمع مقالاتي التي كتبتها يومئذ في الرد عليه مع تصحيحات لغوية وأسلوبية يسيرة و لم أزد عليها شيئاً يستحق الذكر.

ولب المشكلة التي بيني وبين الدكتور التي لم يجب عليها لا في المقالات ولا في الكتاب - ولا يستطيع الجواب عليها-، تكمن في الإجابة عن السؤال اليسير التالي فإن أجاب عليه الدكتور فهذه شجاعة نادرة تحتسب له ونكون قد قطعنا شوطاً كبيراً من الحوار.

والسؤال هو: هل انفرد سيف بن عمر بأخبار ابن سبأ في الفتنة؟! أم شاركه آخرون؟!

وهذا السؤال طرحته عليه في أكثر الردود عليه قبل سنوات و لم يجب عليه إلى الآن مع أنني أجيب على كل أسئلته فإن زعم أنني لم أجب على سؤال فاطلبوه أن يجرب ويطرحه عليّ ثم أترك لكم الحكم[2].

وعلى هذا إن قال الدكتور العودة : لم يشارك سيفَ بن عمر أحدٌ من المؤرخين في إثبات دور ابن سبأ في الفتنة فقد اتفقنا أن رسالته أقامها على هذا الراوي -بغض النظر عن اختلافنا فيه- وإن زعم أن هناك طرقاً أخرى فليظهرها لنا دون أن يخلطها مع تلك الروايات التي تتحدث عن ابن سبأ كشخصية أو زعيم ديني، علما بأنني كررت حتى مللت أنني أفرق بين (الدور في الفتنة) و(مطلق الوجود) حسب ما سيأتي مبيناً في الردود بشكل واضح، بل هذا التفريق موجود في كتاب الرياض (نحو إنقاذ التاريخ

---

[1] يخلط بعض القراء بين الشيخ الفاضل سلمان بن فهد العودة الداعية المعروف وبين الدكتور سليمان بن حمد العودة، وقد استفاد الدكتور سليمان من هذا الخلط كثيرا! ، الدكتور سليمان العودة أستاذ في قسم التاريخ بجامعة الإمام (فرع القصيم).

[2] لم أستطع أن أغير في أسلوب هذه المقالات، فقد تحمل حدة الحوارات تلك الأيام، وقد هدأ أسلوبي فيما بعد فصعب تغيير هذه اللغة (السجالية) مع أنه لا مقارنة بين اتهامات الدكتور واستعدائه للدولة والمجتمع وبين ما تجدونه من بعض ردة الفعل في هذه المقالات، لذلك آمل استصحاب هذا التذكير أثناء قراءة الكتاب، كما أحب أن أذكر بأن مقالاتي في كتاب الرياض (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) خاصة الفصل الأول، كان أسلوبي فيه حاداً وفيه تفاخر لا أرتضيه، فقد كنت يومها طالباً في أواخر المرحلة الجامعية ومتأثراً بالأسلوب السجالي السلفي لذا آمل المعذرة.

الإسلامي) الذي طبع قبل أن يكتب العودة رده الأول، كل هذا موثق بالتواريخ ورحم الله من قال (إذا استخدم الرواة الكذب استخدمنا لهم التاريخ)!.

ورغم أن لي كتاباً مفصلاً عن (ابن سبأ- لم يطبع) إلا أنني أنشر هذا التعقيب الذي هو مجموعة الردود على مقالات الدكتور يومئذٍ، تلبية لطلب كثير من الأخوة الذين رأوا أن أنشرها إلى أن تتم طباعة الكتاب الموسع في هذه المسألة التاريخية، الذي فيه التفصيل في شخصيتين عبدالله بن سبأ وسيف بن عمر (رواية دور ابن سبأ)، فما لا يدرك كله في وقت قريب فلا نترك ولو بعضه، والبعض كاف للرد على الدكتور لكنني أريد بالتطويل في الكتاب القادم أن أخاطب غير الدكتور العودة.

وهذه المقالات سبق أن نشرت في صحف (الرياض، والمسلمون، والبلاد) باستثناء المقالات الأخيرة التي تم منعها من قبل وزارة الإعلام بعد اتصالات واسعة للدكتور العودة واستجدائه بالمؤسسة الدينية الرسمية التي سارعت في التدخل فأوقفت مقالاتي وسمح للدكتور وغيره بكتابة ما يشاؤون في الرد عليَّ!! (وهذه من لطائف العدل الطريفة التي لم تعد غريبة في أوساطنا العلمية)!، وهذه المقالات لم أحاول أن أزيد عليها شيئاً إلا القليل جداً مما يصنف أكثره في التصحيح اللغوي أو الإخراج الشكلي مع بعض الهوامش والعناوين الفرعية التوضيحية، مرجئاً كثيراً مما أريد قوله عن سيف بن عمر وابن سبأ في الكتاب المخصص عن الموضوع الذي سيكون عنوانه: (عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والأسطورة) .

المقال الأول[٣]:

عبد الله بن سبأ وكاسحات[٤] الحقائق!!

---

[٣] نشر هذا المقال في صحيفة الرياض السعودية يوم الثلاثاء بتاريخ ٩/ ربيع الآخر ١٤١٨هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٩٩٧م، وستجدون مقال الدكتور في مقدمة كلامه الذي نشرناه كاملاً في الملحق.

[٤] شبهت الإتهامات والهجوم الشخصي والتحريفات والإلزامات الباطلة ونحوها بكاسحات الألغام التي تستخدم في الحروب بعد العجز عن استخراج الألغام من الأرض، ومثلما هناك كاسحات للألغام فهناك كاسحات للحقائق يستخدمها العاجزون عن مواجهة الحجة بالحجة، فيتخدون هذه الأساليب التي ما زال لها رواج عند كثير من الناس.

اطلعت على رد أخي الدكتور العودة بن حمد العودة المنشور في صحيفة الرياض أيام (الخميس والجمعة والسبت والأحد) في الأسبوع الماضي والذي قبله وكان بعنوان (الإنقاذ من دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي[٥]) وحقيقة لو لم أكن مؤلف كتاب الرياض (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) ولو لم أكن أيضاً كاتب المقالات المنتقَدة لشككت في هذا المنتقَد –بفتح القاف- لأن الدكتور سامحه الله أشهد له أنه أجاد في استخدام (كاسحات الحقائق) كبتر النصوص وتحريف الأقوال أو تضخيمها أو تحميل الكلام ما لا يحتمل وإلزام ما لا يلزم مع ما لمح إليه من اتهامات في النيات وغير ذلك من (الكاسحات) المستخدمة قديماً وحديثاً.

لا غرابة:

وعلى أية حال: أنا لا أستغرب صدور مثل هذه الأساليب، فنحن لم نتعلم –إلى الآن- كيف نفهم كلام الآخرين وكيف نحكم على أقوالهم ونياتهم! بمعنى أننا لم ندرس في حياتنا الدراسية منهجاً يعلمنا ضوابط المعرفة لكلام الآخرين، وعلى هذا يجب على القاريء ألا يستغرب أبداً أن يجد في كتابات بعض الناس اتهامات كثيرة بالتلميح أو التصريح لأن هذا هو الأصل في طريقة تفكير كثير منا وطريقة تناوله لموضوعات المختلفين معه في الرأي، ولأن فيها إخفاء للعجز عن المواجهة، كما أن التهمة عند كثير من الناس –للأسف-هي الأصل حتى تثبت البراءة بينما العكس هو الصحيح أو المفترض.

إساءة الفهم لماذا؟

والدكتور العودة بنى كل مقالاته الأربع السابقة على فهم خاطيء لأقوالي وبناء على هذا الفهم رد رده ثم اتهمني بأشياء ما خطرت لي على بال، وفي ظني أن الدكتور العودة رأى أن أسهل طريقة في الدفاع عن رسالته من نقدي لها هو هذا الأسلوب لأن الناس عندهم قابلية لاتهام الآخرين، فأشبع هذه الرغبة عندهم بما حشره في مقاله من هذه الاتهامات، بينما نقدي له لا يشم فيه أي اتهام لشخصه الكريم ، بل كان نقداً تاريخياً بحتاً.

نعود إلى المعلومة:

[٥] والمذكرة التي أخرجها تحمل العنوان نفسه.

على أية حال: لن أرد على التهم الخارجة على موضوع التاريخ، وهذه المسألة لا تهم الباحثين، أما المعلومة فيجب ردها بالحجة والبرهان أو الاعتراف بصوابها، والعالم سينفتح فلابد أن نتعود على التعامل مع المعلومة وننقدها، وليس مع مصدر المعلومة.

نعود للمسائل التاريخية البحتة ونتحاور مع الدكتور العودة محاولين الاقتصار على نماذج فقط مما أورده فأقول رداً على الدكتور العودة:

الملحوظة الأولى: سوء الفهم.

سوء الفهم أولى كاسحات الحقائق، فكل مقالات الدكتور سلمان العودة كانت نتيجة لسوء فهم[٦] أو إساءته أو تعمد التحريف وليختر منها الدكتور أصحها فهو قد ظن أنني أنفي وجود عبد الله بن سبأ مطلقاً[٧] وهذا ما لم أقله البتة بل صرحت في كتاب الرياض ومقالات سابقة بأنني متوقف في عبد الله بن سبأ من حيث (مطلق وجوده) وإن كنت أنفي وبشدة (دوره المزعوم) في الفتنة أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما وهناك فرق كبير جداً بين رأيي الذي أعلنت عنه وبين ما حملني إياه الدكتور العودة أو أراد أن يحملني إياه، ولولا أن الدكتور أخبرنا أنه قرأ الكتاب لعذرته إذ كيف فاته ما قلته (ص٢٦٠) من الكتاب نفسه عندما قلت بالحرف الواحد: (والفقيهي[٨] نفسه يعترف أن سيف بن عمر ضخم دور عبد الله بن سبأ ولم يجرؤ الفقيهي أن يقول أن سيفا اختلق دور عبد الله بن سبأ في الفتنة).

---

[٦] وعلى هذا كل مذكرته مبنية على هذا لأنها المقالات نفسها، وإن أخرج كتاباً في الموضوع فيكون مبنياً على هذا، سواء أساء الفهم عمداً أو جهلاً، لأنني بينت المسالة أكثر من مرة وأظنها –بعد هذا التكرار والبيان والملاحقة– ستدخل أذن الدكتور شاء أم أبى، لأن الناس قد يسألونه بعد هذا البيان والتكرار.

[٧] مع أن نفي وجود ابن سبأ ليس بذاك الصعب لما سيأتي من أدلة ذكرها من يرى هذا الرأي، لكنها لا تفيد الجزم في الموضوع، وموضوع وجود ابن سبأ من عدمه ليس له كبير أهمية، إنما المهم هل له دور في الفتنة التي حدثت في عهد الخليفتين عثمان وعلي أم ليس له دور، فهذا ما أناقش فيه، وهذا ما نفيته عن ابن سبأ –وقد كررت هذا– لأن الدكتور كرر تحميلي نفي وجود ابن سبأ لأن في وجوده روايات من غير طريق سيف بن عمر، وإذا كان موجوداً فإنه على مذهب الدكتور يجوز أن نثبت له ما رواه الكذابون وهذا مذهب عجيب غريب لأنه على هذا لا يجوز أن نحكم على حديث بالوضع ولا أثر ولا قصة مادام أصحابها مخلوقين!!.

[٨] هو الأخ عبد الحميد علي ناصر فقيهي له رسالة ماجستير في (خلافة علي بن أبي طالب) حصل عليها من الجامعة الإسلامية ووقع في أخطاء كبيرة رددت عليها في كتاب (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) الذي طبعته صحيفة الرياض ضمن كتابها الشهري، وقد أعدت طبع الكتاب ولم تسمح له وزارة الإعلام بالدخول! مع أن الطبعة الأولى كانت مفسوحة! وما زال الكتاب في الجمارك من خمس سنوات! وللأخ الفقيهي تحقيق وإخراج لكتاب في (فضائل معاوية) لأحد نواصب الحنابلة، حشر فيه الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة التي قيلت في فضائل الرجل!! ويتم توزيعه مجاناً على طلاب الجامعة

أقول: هذا كلامي مقيد بـــ (الدور) و (في الفتنة) وقلت تعليقاً على قول الفقيهي (وتسقط بعـــض الروايات (روايات سيف) مثل تضخيمه لدور ابن سبأ)! هذا قول الفقيهي بالحرف فقلت في كتـــاب الرياض معلقاً على هذا الكلام: (ولكن أكثر زملائك في الجامعات لا يزالون يثبتون روايات ســـيف في تضخيمه ابن سبأ ولا يسقطونها مثلما تسقطها أنت هنا فأنتم متناقضون في حدث كبير مثل عبد الله بن سبأ بل إن رسالة الدكتور العودة هي في إثبات دور ابن سبأ...)!!

أقول: فأنتم تلاحظون بوضوح تقييدي للنفي بـــ (الدور في الفتنة وليس نفياً مطلقاً -مـــع أن مـــن يقول بالنفي المطلق[٩] له أدلته لكنني لا أتحمس لها- وقلت (ص٢٦٠) نحو هذا الكلام ولعل من أخر ما ذكرته كان يوم في الاثنين ١٤١٨/٣/١٧هــ، عندما قلت بكل وضوح (وكذلك عبد الله بن سبأ هـــو تحت البحث والدراسة ولا أجزم بنفي وجوده وإن كنت أجزم ببطلان دوره في الفتنـــة)!! وكـــذلك ذكرت نحو هذا في المقال الذي سبقه يوم الاثنين ١٤١٨/٣/١٠هــ،

أقول: فهذه الأقوال المتكررة والتقييدات الصريحة الواضحة التي كتبتها قبل أن يرد الدكتور بحـــرف واحد لا أدري لماذا أهملها الدكتور العودة وقبله الدكتور حسن الهويمل[١٠]؟ ولا أجد تفسيراً لإهمالها إلا سوء الفهم أو تعمد الإهمال لأن الاعتراف بها يقطع عليهم كلاماً كثيراً يودون أن يقولوه، أو أنه مـــن حب تحميل الآخر ما لم يقل من باب إشغاله وبلبلة أفكار المتابعين عن المسألة المحورية التي يقول بها.

الإسلامية لتستقيم عقيدتهم في (الركون إلى ظلموا) ومحبتهم وترتيب الأجر على كل الكبائر التي ارتكبوها بالادعاء بأن تلك الكبائر جاءت عن (اجتهاد)!! وكلما تعددت الكبائر تعدد الاجتهاد وتعدد الأجر!! (راجع كلامنا في موضوع معاوية في كتابنا : مع الشيخ السعد)..

[٩] كالدكتور عبد العزيز الهلابي أستاذ التاريخ في جامعة الملك سعود والسيد مرتضى العسكري والدكتور علي سامي النشار وغيرهم.

[١٠] الدكتور حسن الهويمل أستاذ لغة بجامعة الإمام فرع القصيم ورئيس النادي الأدبي بالقصيم، وكان قد كتب مقالاً مطولاً في صفحة كاملة خالية مـــن المواد الأخرى والإعلانات! نشر ذلك المقال في صحيفة الرياض بعنوان (المالكي والتاريخ) قبل رد الدكتور العودة ورددت عليه يومها في أربعة أسطر! لكن يجب أن أعترف بأن الدكتور الهويمل حسن الأخلاق فرغم اختلافك معه لكنه عندما تلتقي به لا تجد هذا العبوس والكآبة التي نراها في وجوه الغلاة، بل سبق في أول لقاء لي معه بالقصيم أن دعاني في النادي الأدبي وقام بواجب إكرام الضيف، والرجل له حساباته الكثيرة التي لا نطمع معها في حصول الحوار العلمي معه خاصة وأن الموضوع تاريخي قد لا يرى له صلة قوية بتخصصه في الأدب .

وللأسف أن الدكتور العودة بنى على كل هذا (التحريف المتعمد أو سوء الفهم) وما صاحبه من بتر نصوص لأن هذا أسهل من الكلام في مسألة القعقاع بن عمرو (الموضوع الرئيس يومئذٍ)[11] الذي أنفي وجوده مطلقاً، أيضاً فالكلام عن (وجود) ابن سبأ — وإن لم أقل به ولا أستبعده- أسهل للدكتور من الدفاع عن (دور) ابن سبأ الذي هو موضوع رسالته.

إذن فالخلاصة في ابن سبأ أنني هنا أجزم ببطلان دوره في الفتنة ذلك الدور الذي ادعاه ورسمه ووصفه سيف بن عمر ، ورسالة الدكتور في إثبات هذا الدور المكذوب، كانت قائمة على سيف بن عمر فلــو سقط سيف لسقطت الرسالة فلذلك لا نستغرب دفاعه المبالغ فيه والمستميت عن سيف بن عمر.

الملحوظة الثانية:

الدكتور العودة للأسف لم يفهم عنوان الكتاب (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) فقد ظن أنني أدعي أو أرى نفسي (منقذاً) وأرى الكتاب (الإنقاذ) نفسه!! بينما أنا لم أدع (الإنقاذ) و لم أقل هذا البتــة وإنمــا كان عنوان الكتاب (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي)!! وكلمة (نحو) لم أضعها عبثاً! وكان بإمكاني أن أسمي الكتاب (إنقاذ التاريخ الإسلامي) بحذف كلمة (نحو)! لكنني لم أرتض هذا إيماناً مني بأن ما أفعله لم يحن بعد أن أسميه (إنقاذاً) ولكن أنا أسعى (نحو) الإنقاذ! وهناك فرق بين العبارتين فعنوان الكتاب يدل على (الهدف) وكلام الدكتور العودة يدل على (النتيجة)! أي أنه فهم من العنوان أنه يدل على (النتيجة)!! وهذا من سلبيات الفهم التي سبق وأن قلت أنها طبيعية جداً بل هي الأصل في مجتمعات العالم العربي إلا ما ندر، فإذا كان (عنوان الكتاب) لم يستطع الدكتور أن يفهمه فكيف ببقية أقوالي في الكتاب!!

الملحوظة الثالثة:

---

[11] أعني في مقالات تلك الأيام و لم يكن الموضوع عبد الله بن سبأ لكن الدكتور أدخل موضوع رسالته (عبدالله بن سبأ) وقد تضرر (الرسالة) كثيراً مـــن حشر موضوع ابن سبأ لأن هناك أموراً تفتحت للناس كانت مستورة وسترونها في هذه المقالات.

ذكر أنني (أتعاظم)!! عندما قلت (فها أنا ذا طالب لم يحصل على شهادة في التاريخ ولكنني لما تمسكت بمنهج أهل الحديث فندت أقاويل من سبقوني...)

أقول: مع أنني كتبت المقال الذي فيه هذا أيام كنت طالباً في المرحلة الجامعية ولي تحفظ على أسلوبي في ذلك المقال[١٢] –وهو الجزء الأول من كتاب الرياض- وكان على الدكتور أن يراعي هذا إلا أنني أقول أيضاً لو أن الدكتور العودة تأمل الكلام لوجده ثناء على (منهج أهل الحديث) وليس على الذات! ثم تزكية العمل مرتبط بالنية، وقد زكى بعض الصحابة أعمالهم عند حاجتهم إلى ذلك بل الدكتور العودة زكى نفسه كثيراً في كتابه (عبد الله بن سبأ) ورده الأخير فيه مواضع كثيرة زكى فيها نفسه وليس هذا محل بيانها ولا أهميتها .

الملحوظة الرابعة:

ذكر الدكتور العودة أن (التاريخ) تحول في ذهني وانحسر (الإنقاذ) فيه في (بيعة علي) فقط!! وأن معظم دراساتي النقدية تتمحور حول هذا ؟!

أقول: أولاً: لم ينحسر عندي (السعي نحو الإنقاذ) في بيعة علي فقط ولو كان كذلك لما كتب الدكتور رداً علي في (عبد الله بن سبأ!!) .

ثانيا: لا بد للمشاريع العلمية من بدايات فلا أستطيع أن أطبع كل ما أسعى إليه بين عشية وضحاها فالبداية بموضوع معين لا تعني عدم الشمولية في الأهداف[١٣].

ثالثا: ليس هناك مانع شرعي ولا عقلي من الاهتمام بموضوع معين في التاريخ والدكتور نفسه مهتم بعبد الله بن سبأ ومعظم دراساته وكتاباته تدور حول ابن سبأ[١٤] فما المانع أن يكون اهتمامي بفترة

[١٢] وقد نبهت على أنني لا أرتضي أسلوبي في ذلك المقال في هامش المقال نفسه ، فقد كنت يومها متأثراً بالغلو السلفي الإنشائي رغم ما حمله المقال من معلومات موثقة، لذا آمل من القاريء أن يأخذ المعلومة ويعذرني في الأسلوب في ذلك المقال، بل إن المقال الثاني في الرد على الدكتور عبد الحليم عويس لم أنشره ضمن كتاب الرياض بسبب الأسلوب، فنحن نحاول أن نطور أنفسنا يوماً بعد يوم، فما كتبناه عام ١٤١١هـ نبدي ملحوظاتنا عليه اليوم، وأما الدكتور فما كتبه عام ١٤٠٢هـ ما زال يرفض أي ملحوظة عليه إلى الآن!.

[١٣] والدليل على ذلك أنني الآن طبعت خمسة كتب في موضوعات تاريخية وغيرها وهناك مؤلفات مستقبلية أعاننا الله على إتمامها.

خلافة علي بن أبي طالب! خصوصاً وأنه حدث فيها أحداث عظام تستحق الدراسة والبحث بداية من (البيعة!!) التي شوهتها روايات سيف بن عمر[١٥]!.

وتبعه في ذلك كثير من أصحاب الرسائل الجامعية ومنهم العودة كما سيرى القارئ في نقدنا لما كتبه حول البيعة (كتاب الرياض ص١٧٥ أو بيعة علي ص٣١٥).

وملحوظة الدكتور السابقة ليست مطروحة علمياً فلا يقال لباحث لماذا تهتم بهذا الموضوع فقط! لأن من حق ذلك الباحث أن يبحث فيما يراه مهما ويذكر الأسباب.

الملحوظة الخامسة:

ظن الدكتور العودة أن ثنائي على دراسة الدكتور الهلابي ودراسة العسكري حول (عبد الله بن سبأ) يحمل موافقة لهما في كل ما ذهب إليه! وفي ظني أن الدكتور العودة يعرف تماماً أنني صرحت بأنني أخالفهما في بعض النتائج وأن سياق الثناء على الدراستين لم يكن في عبد الله بن سبأ، وإنما كان في سيف بن عمر! لكن الدكتور العودة أراد أن يخلط الأوراق وأكرر التأكيد على ما يلي:

أولا: لم أثنِ على دراسة الهلابي والعسكري بسبب نفيهما لعبد الله بن سبأ-وإن كان من ينفي وجوده أكثر علمية ممن يثبت كل دوره- وإنما لتوصلهما لتضعيف سيف بن عمر (تاريخياً) بعيداً عن (منهج المحدثين) فاتفاقهما مع (منهج المحدثين) بالمنهج التاريخي فيه دلالة على قوة منهج المحدثين وهذا ما أبنته بكل وضوح (في كتاب الرياض ص٥٧) فليرجع إليه من شاء.

---

(١٤) هذا كان تلك الأيام وقد رأينا الدكتور العودة يؤلف في الفترة الأخيرة في موضوعات أخرى وعظية وتاريخية، ولعل أبرز أعماله التاريخية (الهجرة الأولى إلى الحبشة) وهناك إشاعات أنه سرق هذا البحث كاملاً من الدكتور محمد فارس الجميل، فقد أمسك عنده كتاب الجميل عندما عينوه محكماً من المحكمين! وأوصى بعدم فسحه حتى أخرج كتابه ! وهذه الحقيقة اسألوا عنها الدكتور الجميل نفسه وقسم التاريخ بجامعة الملك سعود!

(١٥) إضافة إلى أن علي بن أبي طالب وأهل بيته مظلومون عندنا وإن كان ظلمنا لهم لا يقارن بظلم الشيعة لأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وأمهات المؤمنين، لكن ظلم الشيعة الكبير لهؤلاء لا يسوغ لنا ظلم أهل البيت، ومن أخفى الظلم وأخطره عدم شعور الظالم بأنه ظلم!.

ثانيا: أنا بينت أنني أخالفهما في بعض النتائج وأن لي ملحوظات على الدراستين (انظر كتاب الرياض ص٨١) لكن الدكتور العودة تعمد إخفاء هذا الاستثناء لأسباب معروفة للمتأمل.

ثالثاً: الثناء على مسلمين صادقين خير من الثناء على مثل سيف بن عمر ومتابعته في أكاذيبه.

الملحوظة السادسة:

قوله: (والخلاصة أن المالكي يشارك غيره الأفكار والتشكيك لشخصية ابن سبأ وأفكاره وأن سيفاً وراء ذلك كله)!!

أقول: والخلاصة أن الدكتور العودة يريد تحميلي ما لم أقل وأنه يعمم في موضوع ينبغي فيه التفصيل وإن لم تصدقوا فارجعوا للنصوص (كلام الخصمين) وتأملوها، وهذا لمن أراد الإنصاف ومعرفة الحقيقة فقط.

الملحوظة السابعة:

ثم قام الدكتور العودة باستعراض سبع روايات (جعلها ثمان روايات) عثر عليها مثلما عثر عليها غيره (في تاريخ دمشق)! وسمى هذا (بحثاً علمياً) مع أنه (عثور فقط!!) ووصفه لهذا العثور -الذي لم ينفرد به- بحثاً علمياً ، وهذا من الأدلة على أننا لم نتعلم تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية انظر لقوله: (لقد ثبت لدي <u>بالبحث العلمي</u> (وجود)!! ثماني روايات لا ينتهي!! سندها إلى سيف بن عمر بل ولا وجود لسيف فيها أصلا وكلها تتضافر على إثبات عبد الله بن سبأ)!.

وللجواب أقول:

<u>أولا</u>: إذا كان الدكتور العودة لا يعرف إلا ثمان روايات فيها ذكر لابن سبأ من غير طريق سيف فالذين ينفون وجوده فضلاً عمن ينفي دوره يعرفونها ولم تمنعهم من نفي الوجود أو نفي الدور، وعلى

هذا فمادام مخالفه كالهلابي والعسكري والمالكي يعرفون هذه الروايات وزيادة! فمعنى هذا أنها ليست موطن النزاع كما سيأتي.

ثانيا: عندي روايات زائدة غير ما ذكره الدكتور العودة (وقد عثرت عليها)! في مصادر متقدمة عن ابن عساكر!! لكنني لم أزعم أنها (بحث علمي!) لأن البحث العلمي كلمة رفيعة قد لا يعرف حقيقتها الدكتور، وقد امتهنت هذه الكلمة من كثير من الناس الذين ينزلونها في الانطباعات والأحكام المتسرعة بل و(العثور) أيضاً.

ثالثا: قول الدكتور السابق يدل على الضعف في (حصر المادة العلمية) فإذا كانت رسالته محصورة في عبد الله بن سبأ واهتمامه الطويل والكبير بإثبات هذه الشخصية من غير طريق سيف فانه من القصور ألا يجد إلا ثمان روايات فقط! فأنا مثلا لم أدع البحث في الموضوع (موضوع وجوده) بحثاً موسعاً ومع هذا عندي من الروايات ضعف ما عند الدكتور تقريباً[١٦] وما زلت أقول إن ابن سبأ عندي تحت الدراسة إلى الآن.

رابعا: تلك الروايات التي نقلها الدكتور العودة من تاريخ دمشق خلط بينها خلطاً كبيراً وجعلها كلها في (عبد الله بن سبأ!!) وهذا استغفال واضح للقراء لان تلك الروايات وغيرها تنقسم من حيث المتن إلى عدة أقسام:

- روايات تذكر عبد الله بن سبأ باسمه صريحاً.
- روايات ليس فيها تصريح بابن سبأ وإنما تذكر (الحميت الأسود).
- وروايات فيها عبد الله بن وهب السبئي.
- وروايات فيها ابن السوداء.

---

[١٦] بل وجدت إلى الآن نحو ثلاثين رواية، لم يعرف منها الدكتور إلا تلك التي عثر عليها مجتمعه في مصدر واحد متأخر!! لكن تلك الروايات لا تتفق على اسم واحد كما سيأتي، فهي تختلف في اسم الشخصية وفعلها وأحداثها وموتها.. الخ.

وتلك الروايات (الثلاثين) التي جمعتها في الموضوع لا يثبت بها وجود ابن سبأ فضلاً عن دوره في الفتنة، فتلك (الروايات الثلاثين) ليس فيها دور ابن سبأ وإنما شخصيته أو شخصيات خلطها الرواة به، وكم من حديث ضعيف أو موضوع كان له من الروايات أكثر من هذا، يعرف هذا من تتبع الأخبار الضعيفة إذا استفاضت، فهي كالاشاعات قد يرددها المئات ولا تصح!! فتدبر هذا فإنه مهم.

– وروايات فيها عبد الله السبئي.

– وروايات فيها عبد الله بن حرب.

– وروايات فيها ذكر السبئية[١٧].

أقول: فهذا هو التصنيف الواجب ذكره من حيث المتن ويجب التفريق بينها من البداية والبحث بعد ذلك هل المراد بالحميت الأسود وعبدالله بن وهب و...الخ، هل المراد من هؤلاء كلهم: عبد الله بن سبأ أم لا؟!

هل السبئية يراد بها التابعون لعبد الله بن سبأ في العقائد أم أنها لفظة تحقيرية للمعارضة كما يرى الدكتور الهلابي أم أنها فرقة دينية لا دخل لها بالسياسة ولا بالأحداث التي زعمها سيف بن عمر لرأس هذه الطائفة... وهكذا.

بمعنى أنه يجب على الباحث الذي يزعم أنه بحث المسألة (بحثاً علمياً) أن يثبت للقراء أن (المتون) تتحدث عن (شخصية واحدة) وليس عن شخصيات مختلفة أو ألفاظ غير دالة وأنا هنا لا أقول أن تلك المتون تتحدث عن شخصية واحدة ولا أقول أنها تتحدث عن شخصيات مختلفة وأرجيء هذا للدراسة لكن الدكتور كان من واجبه إثبات أن تلك الروايات يراد بها (عبد الله بن سبأ) ويثبت متى جاء تفسيرها بهذا!! ومن قال به؟ ومن سبقه إلى ذلك؟

خامسا: قوله بأن تلك الروايات (لا ينتهي سندها إلى سيف)!! قول غريب! فروايات سيف نفسها (لا ينتهي سندها إلى سيف)! وإنما إلى شيوخه أو إلى شيوخ شيوخه! أو غيرهم فالدكتور العودة بحاجة إلى معرفة (معنى انتهاء في السند)!

[١٧] في كتابي القادم عن ابن سبأ أسماء أخرى مزعومة لهذه الشخصية منها (أبو الأود، وعبدالله بن وهب بن سبأ)! وربما نكتشف مع الأيام مزيداً من الأسماء! وهذا له دلالته المذهبيه، إذ يبدو أن السجال السني الشيعي قد أدى إلى تجميع شتات من الروايات الضعيفة في شخصيات ومواقف متعددة، ثم تم ضغطها لتكون كلها في موضوع واحد وشخصية واحدة!! لكن التناقض الكبير في الأماء والمواقف والاعتقادات والأساطير.. يؤكد على عكس ما أراد المساجلون خاصة مع معارضة الروايات الصحيحة.

وكثرة الغرائب والعجائب والأمور التي لا تصدق في تلك الروايات التي تتحدث عن هذه الشخصيات –ولا أقول الشخصية– وتلك المواقف المتناقضة لا المتفقة (كل هذا سنذكره مفصلاً– إن شاء الله في كتاب: عبدالله بن سبأ بين الحقيقة والأسطورة).

سادسا: زعم الدكتور بأن الألباني صحح عدد من تلك الروايات! وليت الدكتور بين لنا تلك الأسانيد التي صححها الألباني! ثم إذا كان الدكتور العودة يريد تهديدنا بتصحيح الألباني فالألباني نفسه يحكم على سيف بن عمر بأنه (كذاب)!! (انظر السلسلة الصحيحة ١٠٢/٣) وعلى هذا فرسالة الدكتور العودة عند الألباني تكون قائمة على كذاب عند الألباني (وهذا متفق مع قولنا أيضاً) وهنا سيضطر العودة للتخلي عن تكذيب الألباني لسيف بن عمر مثلما اضطر للتخلي عن أحكام أهل الحديث على سيف بن عمر في رسالته!

ثم إن الألباني حكم على سيف (بالكذب) في مسألة تاريخية بحتة وليست مسألة حديثية! والدكتور العودة هنا بين أمرين إما أن يعتبر الألباني حجة ويقلده ويدعونا لتقليده وإما أن يقول الألباني مثله مثل غيره من العلماء ولا يلزمنا بتقليده وكلا الأمرين ليس في صالح الدكتور ولا رسالته.

نظرة في متون الروايات:

الدكتور العودة (مثل أكثر المؤرخين الإسلاميين المعاصرين) يفتقد الآلية التي تعينه على الحكم الصحيح على الروايات أسانيد ومتوناً وبما أنه اعترف بضعف بعض الأسانيد التي أوردها ورغم أن اعترافه كان خفياً إلا أنه بنظرة على متون الروايات التي فيها ذكر لـ عبد الله بن سبأ (صريحاً) نجد تلك الروايات في غاية النكارة.

خذوا على سبيل المثال :

الرواية الأولى:

التي فيها قول الشعبي (أول من كذب عبد الله بن سبأ!!) فهذا متن ظاهره باطل يعرف بطلانه من عنده أدنى من علم ولو سألنا أحد العوام الذين لا يقرأون ولا يكتبون من هو أول من كذب؟ لقال لنا إبليس!! وربما يقولون (فرعون) وقد يقول بعضهم: الجن التي قيل أنها سكنت الأرض قبل بني آدم!! فضلاً عن الكفار في الأزمنة المتقدمة على زمان النبوة وكذلك كفار قريش والمنافقون، كل

هؤلاء كذبوا قبل أن يولد عبد الله بن سبأ-إن صح وجوده-! فأين عقولنا وعلومنا وأيـــن تطبيقنـــا لمنهج المحدثين؟ بل إن هذا الأمر لا يحتاج منهج محدثين وإنما يحتاج رجلاً عاقلاً فقط!!

سبحان الله أول من كذب عبد الله بن سبأ؟

أين قول إبليس (وما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين)؟! سورة الأعراف ١٩.

أين قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) ؟!

هل الدكتور العودة يرى أن عبد الله بن سبأ قبل هؤلاء؟ وقبل الخليقة؟!

على أية حال: الإسناد أضعف من أن يبين[١٨] لكن ضعف ونكارة المتن يغنينا عـــن البحـــث في الأسانيد.

نقد الرواية الثانية:

أما الرواية الثانية التي أوردها الدكتور العودة (رواية أبي الطفيل) فليس فيها ذكر لعبد الله بن سبأ وإنما فيها ذكر (ابن السوداء!!) وهذه محل خلاف هل المراد بابن السوداء (عبد الله بن سبأ) أم عمار بن ياسر؟ -على كلام في بعض رجال الإسناد- فالهلابي وغيره من الباحثين لا يسلمون أن المراد به عبد الله بن سبأ هنا فهذا يحتاج لبحث، بعيداً عن (الانتصار للذات!!) والتعصب للأحكام المســـبقة فالقارئ الجاد يريد أن يقتنع ولا يكتفي بالانشائيات!!

نقد الرواية الثالثة:

أما الرواية الثالثة التي أوردها العودة فليس فيها ذكر لعبد الله بن سبأ البتة إنما فيها ذكر (الحميت الأسود) فهل هو ابن سبأ!! هذا يحتاج إلى بحث عن التقليد والانتصار للذات!.

---

[١٨] سيأتي نقد الإسناد موسعاً في كتاب (عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والأسطورة)، وقد يأتي بعضه أثناء المقالات القادمة، ويكفي أن في الإسناد مجالد بـــن سعيد.

وهذه الرواية من طريق غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب عن علي وهذا سند صحيح لكن يبقى الكلام في معنى (المتن!!).

نقد الرواية الرابعة:

هذه الرواية هي نفسها الرواية الثالثة لكن العودة جعلها روايتين بسبب تفسير عمرو بن مـــرزوق (الراوي عن شعبة) لكلمة الحميت الأسود فقال (يعني عبد الله بن سبأ وكـــان يقـــع في أبي بكـــر وعمر!!).

أقول: وعمرو بن مرزوق معروف بأنه كثير الأوهام وإن كان ثقة في نفسه، إضافة إلى أنه كان في عصر كان السجال المذهبي بين السنة والشيعة نشيطاً. فالرواية هي رواية شعبة رواها عنه اثنان (غندر وعمرو بن مرزوق) فغندر رواها بلفظ (مالي وهذا الحميت الأسود) فقط! أما الرواية عن عمرو بن مرزوق ففيها زيادة في تفسير النص قوله (يعني عبد الله بن سبأ) ولا ريب أن غندر أوثق بكثير مـــن عمرو بن مرزوق ولم يوصف بكثرة الوهم أو الخطأ مثل عمرو بن مرزوق وعلى هذا فتفسير عمرو بن مرزوق –أو تفسير من دونه من رجال الإسناد- ليس حجة لأنهم جاءوا بعد سيف بن عمر بمدة طويلة!! ولأن هذا رأي لا رواية، ولتأثير السجال المذهبي الذي يحرص فيه بعض السنة على إلصـــاق مذهب الشيعة باليهود! مع أن نقد الغلو الشيعي يمكن بسهولة بعيداً عن تحميل التاريخ ما ليس فيه.

والخلاصة : أن تفسير عمرو بن مرزوق ليس حجة لأن بينه وبين الحادثة نحو مئتي سنة!! فتفسيره لا يعتبر رواية مسندة (كما أوهمنا العودة!!) بل هذا من (المدرج) ولو كان عند الدكتور العودة إلمام يسير بعلم الحديث لعرف هذا جيداً ولعرف أن (الزيادات الشاذة المدرجة) التي تردد ما اســـتفاض عنده، لا تعتبر (روايات مسندة!!) وهذا علم دقيق على المؤرخين، فلا يدركـــه أكثـــر المـــؤرخين الإسلاميين بل قد لا يدركه كثير من طلبة علم الحديث ومن طالع كتاب العلل للـــدارقطني عـــرف شرف هذا العلم وأهميته.

الرواية الخامسة:

أورد الدكتور العودة رواية حجية الكندي وفيها أن علياً قال وهو على المنبر (من يعذرني من هذا الحميت الأسود الذي يكذب على الله وعلى رسوله –يعني ابن السوداء– لولا أن لا يزال يخرج عليَّ عصابة تنعى علي دمه كما ادعيت علي دماء أهل النهر لجعلت منهم ركاماً!!)

أقول: الإسناد حسنه العودة! لكن المتن ليس فيه ذكر لعبد الله بن سبأ!! أما تفسير بعض الرواة لقوله (يعني ابن السوداء) فهذا التفسير لا يعرف مصدره! ثم لو سلمنا بأن مصدره متقدم فهذا يحتاج لبحث لإثبات أن ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ!! ثم إن المتن نفسه فيه نكارة ظاهرة لأنه يفيد أن علياً متخوف من قتل ابن سبأ! وأنه نادم على قتاله الخوارج! وهذه الأخيرة تخالف ما تواتر عن علي في الصحيحين من فرحه بقتال الخوارج وذكره فضل من قاتلهم.

ورغم أنني إلى الآن لم أستوف البحث في مسألة وجود ابن سبأ لكنني استكملته موضوع (بطلان دور ابن سبأ) وأنتم لاحظتم أن حجج الدكتور ورواياته التي أوردها ضعيفة بحيث لا يحتاج مضعفها إلا أن يعلم أن إبليس خلق قبل عبد الله بن سبأ وأن المدرج ليس حجة وأن علياً فرح بقتال الخوارج وأن الرافضة لم تكن موجودة في عهد علي ... وهكذا فلو لم يكن عندي روايات أخرى غير ما أورده الدكتور لجزمت بنفي ابن سبأ مطلقاً لكن عندي روايات أخرى سأذكرها وهي التي تجعلني أتوقف في مسألة نفيه مطلقاً، إضافة إلى أن كل الروايات السابقة لو صح أنها في ابن سبأ فهي لا تتحدث عن دوره في الفتنة (موضوع رسالة الدكتور العودة)! وإنما تتحدث عن عقائد ابن سبأ.

الرواية السادسة:

هذه الرواية اعترف الدكتور بضعف إسنادها ففيها ثلاث مجاهيل في نسق وهي رواية أبي الجلاس عن علي في قوله لعبد الله السبأي (ويلك والله ما أفضى إلي –يعني النبيﷺ– بشيء كتمه أحداً من الناس ولقد سمعته يقول: أن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وأنك أحدهم)!!

أقول: وعبد الله السبأي هذا هل هو عبد الله بن الكواء أو عبد الله بن وهب الراسبي أو عبد الله بن سبأ[١٩]، ولابن الكواء قصة مماثلة مع علي عندما سأله (هل عنده شيء غير القرآن) مما أسره النبيﷺ فكان علي ينفي هذا وهذه القصة في البخاري، وعلى هذا يمكن أن يكون عبد الله السبأي هو عبد الله بن الكواء –وكان الوهم من أحد الرواة– لكن الدكتور العودة يريد إثبات أن كل الروايات في عبد الله بن سبأ ولو كانت الروايات في غيره!!

ثم لماذا يعرف علي أن عبد الله السبأي هذا من (الكذابين الثلاثين) ثم لا يعاقبه ولا يحبسه حتى لا يضلل الناس بكذبه[٢٠]؟! هذا كله على افتراض صحة الإسناد مع أن في هؤلاء المجهولين من معاصراً لسيف بن عمر!.

الرواية السابعة:

ثم أورد الدكتور العودة رواية سماك بن حرب عن علي أنه بلغه أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر، فدعا به ودعا بالسيف وهم بقتله فكلم فيه فقال: (لا يساكنني ببلد أنا فيه فسير إلى المدائن)!!.

أقول: أولا.. سماك بن حرب لم يسمع من علي ولا أدركه[٢١] و لم يولد إلا بعده على ما يظهر لأن وفاته كانت (١٢٣هـ) بينما وفاة علي كانت (٤٠هـ)!!

ثانيا: لا نسلم بأن ابن السوداء المراد به عبد الله بن سبأ إلا ببرهان ودليل.

---

[١٩] كنت قد وهمت في المقال وقلت (وكل هؤلاء سبئيون) و لم يكتشف الدكتور العودة هذا الخطأ ! وذهب يرد على الصواب أو يحرفه! أما هذا الخطأ مني فقد نبهني إليه الأستاذ الفاضل النسابة الأخ إبراهيم الفنتوخ.

[٢٠] أما الزعم بأن علياً خشي من فتنته! فهذا غير صحيح فليس ابن سبأ –لو صح هذا– في قوة الخوارج ولا أهل الشام ولا أهل الجمل ولا بني ناجية وقد قاتلهم علي جميعاً وليست فتنتهم أضر على الأمة من فتنة هذا الرجل لو كان ما يروونه صحيحاً، وقد كان علي يشتد على بعض أصحابه المتبوعين كالأشعث بن قيس رئيس كندة والأشتر رأس مذحج وخالد بن المعمر رئيس بكر وائل لأمور أيسر من مثل هذا، هذا كله ما يؤكد على بطلان مثل هذه المرويات، أما التحريف –إن صح أيضاً– فكان لأناس مرتدين كانوا يأخذون العطاء ويخفون ردهم، وليسوا سبئية كما أشاع ذلك بعض رواة السنة المتأخرين نتيجة السجال المذهبي بين الطائفتين.

[٢١] بل نفوا سماعه من مصعب بن سعد بن أ[ي وقاص ومسروق بن الأجدع وهما من التابعين (انظر جامع التحصيل للعلائي ص٢٣٢).

ثالثا: هل عقوبة منتقصي أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي هي القتـــل؟!! أم أن هـــذا خـــاص بالنبيﷺ فالصحيح المعروف عن الصحابة أنفسهم أن هذا خاص بالنبي ﷺ فقط بمعنى أن عقوبة القتل خاصة بمن يشتم النبيﷺ ويسبه أما غير النبيﷺ من الصحابة وغيرهم فغاية العقوبة فيه التعزير فقط! بل علي لم يعزر من يكفره من الخوارج فضلاً عن القتل، وتكفير علي أشد من تنقص أبي بكر وعمر إلا عند النواصب! بل هذا منهج الخلفاء الراشدين وقد صح هذا عن أبي بكر وعلـــي، أمـــا علـــي فسبقت الإشارة لمنهجه مع الخوارج وهم يكفرونه ويكفرون عثمان بن عفان وهذا أعظم من تنقص أبي بكر وعمر، وأما أبو بكر فقد صح الإسناد عنه أنه لما أراد أبو برزة الأسلمي أن يقتل من أغلظ لأبي بكر وأساء له أبي بكر منعه أبو بكر رضي الله عنه وقال (ليست هذه إلا لرســـول اللهﷺ)؟! أو بمعناه[٢٢]، فهل هذا مما يخفى على علي؟! كيف يخفى عليه وهو يسمع الخوارج يكفرونه ويشـــتمونه ومع ذلك لم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام! فهذا يدل على ضعف الآلية النقدية عنـــد الـــدكتور وعدم جمعه بين النصوص وعدم محاكمتها ولذلك لا تستغربوا أن يظن أن ابن سبأ أول من كذب!!

رابعا: من هم الذين كلموا عليا في ابن سبأ؟! هل هم سبئية أيضاً ؟!

خامساً: هل يقبل علي الشفاعة في مثل هذا الأمر؟ هل يستجيب لهذا المطلب المخالف لما يراه من الحكم الشرعي؟!

سادساً: ثم هذه الرواية تتناقض مع الرواية الأخرى التي تقول أن سبب نفي علي لابن سبأ هو غلو ابن سبأ في علي واعتقاده أن علياً إله خالق رازق؟!

على أية حال: هذا النقد لهذه الرواية لن يفيد من عنده الأحكام المسبقة لكنه سيفيد مـــن يريـــد البحث عن الحقيقة من القراء.

الرواية الثامنة:

---

[٢٢] راجع مسند أبي بكر في مسند الإمام أحمد حديث (٥٤،٦١) ورواه الطيالسي والنسائي وأبو يعلى والحاكم وغيرهم، وسنده صحيح.

ثم أورد الدكتور رواية جابر بن عبد الله وفيها أنه (لما بويع علي خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له: أنت دابة الأرض.. أنت الملك.. أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق!! وعلي يقول له في كل مرة: اتق الله!! ثم أمر بقتله)!! هكذا نجد السبب هنا غير السبب في الرواية السابقة!!

ثم تواصل الرواية قائلة أن جابراً قال: (فاجتمعت الرافضة فقال: دعه وانفه إلى سابط المدائن!! فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصحابه وشيعته! فنفاه إلى المدائن فثم القرامطة والرافضة.. الرواية)!

أقول: أولاً: هذه لا أدري كيف عقلها الدكتور العودة وكيف نشرها و لم ينقد متنها!! بغض النظر عن النظر في إسنادها؟

ثانيا: متى مات جابر بن عبد الله؟ ومتى كانت بيعة علي؟ ومتى خرجت الرافضة والقرامطة؟!

فالرافضة لم تعرف بهذا الاسم إلا عام ١٢٢هـ عندما رفضوا نصرة زيد بن علي، أما موت جابر بن عبد الله راوي الحادثة فكان قبل ذلك الوقت بخمسين عاماً (وفاة جابر كانت نحو ٧٠هـ) وكذلك بيعة علي كانت قبل نشوء مصطلح الرافضة بخمسة وثمانين عاماً!! فأين عقولنا؟! أين مناهجنا النقدية؟!

أما القرامطة فلم يظهروا بهذا المصطلح إلا بعد موت جابر بن عبد الله بنحو مائتي عام!! لأن قرمط رأس القرامطة الذي سمى به القرامطة توفي عام ٢٩٣هـ!! وبعد بيعة علي بنحو مائتين وخمسين عاماً!! وهذا يدل على أن الرواية وضعت على لسان جابر بن عبد الله بعد موته بمائتي سنة!! لكن الدكتور العودة لا يمتلك المنهج النقدي للمتون ولو كان يمتلك هذا المنهج النقدي لما رأينا مثل هذه الروايات التي يستشهد بها في إثبات عبد الله بن سبأ؟! وأجد نفسي ممسكاً إلى هذا الحد، فهذا خير من مواصلة الكلام.

ونخرج من هذا كله أن القصة هذه مختلقة وإذا لم تكن مكذوبة بهذا السياق فليس في الدنيا حديث موضوع ولا رواية مكذوبة!!

ثم كيف قامت الرافضة تشفع في ابن سبأ و لم توجد إلا بعده (على افتراض وجـوده) بعشـرات السنين!! وكيف تحذر الرافضة من شيعة ابن سبأ؟ أليسوا هم شيعة ابن سبأ؟! وكيف تحذر الرافضة علياً من أصحاب ابن سبأ هل لهم هذه القوة التي تفوق قوة الخليفة؟!

ثم الرافضة كانوا على غير هذا غير أصحاب ابن سبأ!! وهم براءة من ابن سبأ وأصحابه!! ولذلك شفعوا لهم! وحذروا من سطوتهم!!

إذن فالرافضة لهم تاريخ قديم فهم جلساء علي والشافعون المشفعون عنده؟! وعلى هـذا فهـم (تلاميذ الصحابة)! وقرنهم خير القرون! والوصية ثابتة بالصحابة والذين يلونهم! وهـذه الفضـائل للرافضة لم تتوفر لغيرها من الفرق الإسلامية كالسلفية فهذا اللقب متأخر جداً عن ذلك الوقت.

مشكلة الأغبياء أنهم يكذبون لفائدة خصومهم دون علم وهذه رواية من أكذب الروايات.

أم أن الاسم القديم للسنة كان (الرافضة)؟! ولذلك كانوا فرقة وأصحاب ابن سبأ أخـرى!! وأن من أطلق على السنة لقب (الرافضة) هم أصحاب ابن سبأ لرفضهم إياهم!

وهذه الأسئلة لن يجد العودة إجابات عليها إلا وتصب تلك الإجابات في كذب الرواية عند كل ذي عقل وإنصاف، ومن هذه الرواية وطريقة استشهاد العودة بها تبدو لنا ملامح (الآلية النقديـة) المتبعة عند بعض الأكاديميين!!

<u>**والخلاصة**</u>: أن الروايات التي أوردها الدكتور العودة وذكر بأنها (تقطع) بوجود عبد الله بن سبأ! لا تقدم بها حجة، وهي على أصناف فأما الروايات التي فيها اسمه صريحاً فهي باطلة أو ضعيفة ضعفاً ظاهراً وأما الروايات التي فيها أسماء أخرى أو ليس فيها ذكر لاسمه الصريح فهي بحاجة إلى دراسـة هل المراد بها ابن سبأ أم غيره.. وعلى هذا لو ثبت أن المراد بها ذلك الرجل الذي قيل إن اسمه (عبدالله بن سبأ) فلإثبات الدور روايات يجب أن نجدها غير هذه، وهذا مستبعد جداً، لأنه ليس في الروايات التي أوردها الدكتور –إلى الآن– فليس فيها ما يدل على وجود ابن سبأ فضلاً عن دوره الكـبير في الفتنة الذي رسمه سيف بن عمر!!

الروايات التي لم يوردها العودة:

ومن تلك الروايات التي لم (يعثر) عليها الدكتور –رغم أنه يبحث القضية من ثمانية عشر عامـــاً– ما يلي:

الرواية الأولى: روى أبو نعيم في الحلية عن شيخه إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن خبيق عـــن يوسف بن أسباط عن محمد بن عبد العزيز التيمي عن مغيرة بن مقسم عن أم موسى (سرية علي بن أبي طالب) قالت: بلغ علياً أن ابن سبأ يفضله على أبي بكر وعمر فهم بقتله... الرواية)**!!!**

أقول: فهذه الرواية لم (يعثر) عليها العودة وهي ضعيفة أيضا سنداً ومنكرة متناً أما السند ففيهـــا يوسف بن أسباط[٢٣] وغيره كمغيرة بن مقسم كان يدلس ويرسل وقد عنعن هنا، وفيـــه ضـــعف، وكان يدلس عن إبراهيم النخعي (ت٩٥هـــ) وطبقته فكيف بسرية علي الذي مات سنة (٤٠هـــ)**!!** وأم موسى فيها جهالة، كما أن المتن يخالف المتون السابقة ويضطرب معها إضـــافة إلى أن بعـــض الصحابة كأبي الطفيل كان يفضل علياً على الشيخين و لم يقتله علي (راجـــع ترجمتـــه في الإصـــابة وغيرها) وليست عقوبة مثل هذا القتل، إنما غاية ذلك التعزير والجلد، كما جاء عن علي من وجوه أخرى في تهديده لمن يفضله على الشيخين بأن عقوبته (جلد المفتري)[٢٤] وليس القتل**!!** فتأمل.

رواية ثانية:

الرواية الأخرى التي لم يذكرها العودة وهي رواية الخطيب البغدادي في تاريخ بغـــداد (٤٨٨/٨) عن عبد الوهاب الصغير عن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن المغلس عن سعيد بن يحيى الأموي عن عبد الله بن سعيد الأموي عن زيد البكائي عن مجالد عن الشعبي عن زحر بن قيس، ورواها الجاحظ عن

---

[٢٣] كان من غلاة السنة مع نصب لحقه، يدرك ذلك من قرأ ما نسب إليه من أحاديث وآثار وأقوال ومواقف (لي فيه بحث صغير، ضمن بحـــث لي عـــن: جذور كتب العقائد).

[٢٤] على أن هذا الحديث عن علي فيه نظر، ولي فيه بحث خاص، فكيف يهم علي بجلد من فضله على الشيخين ولا يعاقب من يكفره؟! وتكفيره أعظم ذنباً من تفضيله على الشيخين لو كان ذنباً وليس بذنب بل هو اجتهاد، ومسألة التفضيل من المسائل التي تأثرت بالسجال المذهبي بين السنة والشيعة.

حباب بن موسى عن مجالد عن زحر وفيها (أن زحر بن قيس التقى بعبد الله بن وهب السبأي بعد مقتل علي) في قصة مبسوطة أكثر من هذا.

والرواية فيها ضعف كبير سنداً ومتناً ومن أراد معرفة ذلك فليرجع إلى بحث الدكتور الهلابي عن عبد الله بن سبأ (ص٣٥) والنظر في الإسناد كافٍ في معرفة ضعفها! ففيها مجالد ومجالد مجالد! ثم إن عبد الله بن سبأ لم يرد اسمه صريحاً إنما ورد اسم عبد الله بن وهب وهذا –إن كان عبدالله بن وهب الراسبي– فقد قتل قبل موت علي بينما هذه الرواية لم تذكر هذه القصة بعد مقتل علي!!

رواية ثالثة:

هذه الرواية لم يعثر عليها العودة أيضا وقد رواها ابن شاهين حسب ما أورده ابن تيمية في المنهاج (٢٣/١) ورواها ابن شاهين عن محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن الوليد عن جعفر بن نصير عن عبد الرحمن بن مغول عن أبيه عن الشعبي وفيها (أحذركم من هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة..) ثم سرد رواية طويلة فيها قوله (منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر)!!

أقول: هذه الرواية باطلة سنداً ومتناً لأن مصطلح الرافضة لم يوجد إلا بعد وفاة الشعبي بنحو عشرين عاما!! لأن الشعبي مات نحو عام ١٠٤هـ بينما كلمة زيد عن الرافضة لم يأت إلا عام ١٢٢هـ!! ثم اشتهرت بعد ذلك.

كما أن في الإسناد عبد الرحمن بن مالك بن مغول من أكذب الرواة وهو متهم بوضع الحديث وهو معاصر لسيف بن عمر أيضاً وهما كوفيان!! فلعل الأمر تم باتفاق وتواطؤ بين الأقلية من الرواة النواصب الموجودين في الكوفة الشيعية نتيجة العصبية المذهبية، وإن كنت لا أتحمس لنظرية المؤامرة، لكنني أرى أن (سيف بن عمر وعبد الرحمن هذا ومجالد) كلهم كوفيون ومتعاصرون وكذابون ومتهمون ومنحرفون عن علي!! ومنهم جاءت هذه التفصيلات!! فلعل الأمر فيه اتفاق بين هؤلاء الكذابين وهذه الاتفاقات بين الكذابين معروفة عند أهل الحديث تماماً فهناك قصص مشابهة.

والغريب أن الدكتور العودة ينقل كثيراً من الشيعة والمستشرقين ثم يتهمنا بأننا نأخذ ببعض روايات الشيعة وأننا ندافع عنهم أكثر من دفاعهم عن أنفسهم! باطل، لكنه في الوقت نفسه ينقل عن الوضاعين والنواصب ويحتج برواياهم.

الملحوظة الثامنة:

حاول الدكتور العودة أن يربط بيني وبين السيد مرتضى العسكري في تضعيف سيف بن عمر!! وكأن العسكري أول من قال بتكذيب سيف بن عمر!! وفي ظني أن الدكتور العودة يعلم تماماً بأن تضعيفي لسيف بن عمر من وجهين:

الأول: اتباع أصحاب الحديث ولولا أهم أجمعوا على ضعفه أو كادوا لكان للدكتور عذر في الإهام.

والثاني: دراسة مروياته ومقارنتها بروايات الثقات.

وكثير من المؤرخين المعاصرين ووعاظ التاريخ ينظرون إلى المعلومة من خلال المصدر!! بينما المفترض أن ننظر إلى المعلومة من خلال العلم نفسه أولاً، ثم والمصدر ثانياً لكن بعد أن نحاكم هذه المعلومة فإن ثبت صدقها وصحتها لا ننظر لمصدرها وإن ثبت كذبها رددناها.

وهذا مفترق طرق بيني وبين كثير من وعاظ التاريخ وغيرهم، من طلبة العلم المتمذهبين الذين لا يهمهم إلا نصرة ما يقوله المذهب سواءً كان حقاً أم باطلاً.

بل إهم يتناقضون في هذه القضية تناقضاً صارخاً فنجد بعضهم كالدكتور العودة لا يتورع أن ينقل من الشيعة والمستشرقين إذا كانت الرواية أو القول في صالحه بينما يحرم على الناس ما يبيحه لنفسه!! وهذا أيضاً سمة غالبة في أكثر خصومي من دارسي التاريخ المعاصرين الذين أزعجتهم المنهجية الموجودة في (كتاب الرياض)[٢٥]!! هكذا أزعم ومن حق الدكتور أن يعتبر هذا تزكية للعمل

---

[٢٥] نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي.

ومن حقي أن أذكر سبب نقدهم للكتاب!! فالعقلية التي نشأنا عليها عقلية تجمع بين الغلو السلفي والظلم الأموي فلذلك لا نستغرب وحشة الكثير من كل إنصاف لعلي ومن كل نقد لمعاوية وبني أمية، والغلو السلفي تزاوج مع الميول الأموية النسق الأموي من قديم والشواهد على ذلك لا يتسع له هذا المقام.

الملحوظة التاسعة:

طلب مني الدكتور العودة أن أبين الأماكن التي ضعف فيها الطبري سيف بن عمر!! فقال: (فهل يصح هذا القول؟ و لم يبين المالكي مواطن تضعيف الطبري لسيف حتى نشاركه أو عدمه)!!

أقول: أولاً: أنا لا أنتظر أن يشاركني الدكتور في تضعيف سيف ويكفيني إجماع أهل الحديث والدكتور العودة لم يقتنع بإجماعهم حتى نرجو منه التمسك بتضعيف الطبري لسيف!!

ثانيا: لأنه طلب مني ذلك وحتى لا يظن القارئ أن هذا الطلب الذي يشبه التحدي له وزن فسأنقل بعض تضعيفات الطبري لسيف بن عمر ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره في تاريخه (٤/٤٩٧) عندما قال (وأما الذي يرويه المحدثون من أمر الأحنف فغير ما رواه سيف عمن ذكر من شيوخه..!!)

وقال (٣/٣٥٠) بعد أن ذكر رواية سيف في فتح الأيلة قال: (وهذه القصة في أمر الأيلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح..!!).

أقول: هذه نماذج فقط لكن العودة لن يقتنع بها فهو لم يقتنع بإجماع المحدثين في سيف فكيف يرضى بالطبري وحده؟!

وهذه التضعيفات من الطبري لسيف أولى مما ذكره العودة من قوله في الرواية من روايات أبي مخنف (هذا لا يحتمل سماعه العامة) قالها في سياق تضعيفه أبي مخنف رواية لأبي مخنف فهذا لا يعد

تضعيفاً لأن (العامة) ليس ذوقهم مقياسا للصحة والضعف[٢٦] فهذا يختلف عن جملته السابقة في تضعيف سيف مع أنني أطرح الاثنين (سيفاً وأبا مخنف) و لم استدل برواية واحدة لواحد منهما والحمد لله.

الملحوظة العاشرة:

ذكر العودة أنني لا أصف أبا مخنف إلا بالشيعي فقط مع أنني أقول عن سيف (الوضاع المتهم بالزندقة)! وهذا ما لم أقله فأنا أعرف أن أبا مخنف والواقدي[٢٧] ضعيفان وأن الأول أشد ضعفا[٢٨] لكن ليس بالضرورة أن أبين ذلك عند كل ذكر لهما وقد يفوتني ذكر هذا فكان ماذا؟ ولكن الدليل الأقوى على كلامي أنني لم استدل برواية واحدة لا للواقدي ولا لأبي مخنف مع أنهما فوق سيف بمراتب.

الملحوظة الحادية عشرة:

زعم الدكتور العودة أنني أعترفت بصحة سند بعض مرويات سيف وهذا ما لم يحدث البتة لكن الدكتور اغتر بقولي: (الروايات التي صح الإسناد فيها إلى سيف)!!

وفهم من هذا أنني أصحح روايات سيف!! فإذا كان هذا فهم الدكتور لألفاظ الجرح والتعديل فهنيئاً له!! والدكتور بحاجة لمراجعة جادة لمصطلحات وألفاظ أهل الحديث وليفهم دلالات الألفاظ قبل أن يتكلم في هذا العلم.

---

[٢٦] خاصة وأن العامة في عهد الطبري، يراد بهم الحنابلة وأتباعهم من العوام، وهم إلى اليوم لا يحتملون روايات الثقات في إدانة بني أمية لكنهم يحتملون أكاذيب سيف بن عمر في إدانة أبي ذر وعمار بن ياسر!!، ولأن سيفاً أموي الهوى فحسب!! فغلاتنا حلقة من سلسلة طويلة ممتدة من القرن الأول إلى اليوم ولا يحتملون من يحاول هز السلسلة!!!!

[٢٧] عندي بحث متأخر في الواقدي وأراه ثقة في المغازي لأنه ضبط هذا العلم، أما أبو مخنف فتحت الدراسة، ويبدو لي أنه مظلوم من غلاة السنة لأنه توسع في ذكر مآسي أهل البيت والمظالم التي لحقت بهم من بني أمية ، فلذلك نقد عليه بعضهم ذلك! وكأن الناقد يريد أن يتوسع في الثناء على يزيد والحجاج.

[٢٨] ينظر الهامش السابق، فرأيي في الرجلين قد تغير لكنني أحافظ على ألفاظ المقال، ومع ذلك لم استدل برواية انفرد بها الواقدي أو أبو مخنف.

والغريب أن الدكتور يحرف كلامي ثم يحيل على كتاب الرياض وعلى كتاب بيعة علـــي إحالـــة الواثق! فعندما يراجع القارئ كلامي سيجده خلاف ما ينقل الدكتور فأين الأمانة العلمية؟! ولمـــاذا هذه الأساليب؟!

الملحوظة الثانية عشرة:

من أمثلة التحريف المتعمد لكلامي ما ذكره الدكتور العودة من زعمه بأني تناقضت في زعمي أن سيف بن عمر يطعن في الصحابة!! ثم قولي مرة أخرى أنه يدافع عنهم!!

أقول: وهذا مثال من عشرات الأمثلة التي حرف الدكتور فيها كلامي فأنا رجعت للصفحة الـــتي أحال عليها ص٧٠، ٧٣ من كتاب الرياض فإذا بي أقول ما يلي (سيف مغرم بـــالطعن في بعـــض الصحابة والتابعين الذين كان لهم مواقف من بني أمية كعمار بن ياسر وأبي ذر..) إلى أن قلت: (فهو يطعن في هؤلاء الأخيار بينما يدافع عن معاوية وزياد بن أبيه وسعيد بن العاص والوليد بـــن عقبـــة الفاسق..) ثم استدركت وقلت (وهؤلاء وإن كان في بعضهم فضل[٢٩] وخير لكنـــهم لا يـــوازون عمارا وأبا ذر ولا يكادون)!!

أقول: فانظروا هل في كلامي تناقض أم أن الدكتور أراد أن يفهم القارئ أن هناك تناقضا!! أين الأمانة العلمية؟

الملحوظة الثالثة عشرة:

قارن الدكتور العودة بين ترجمة سيف بن عمر و ترجمة أبي مخنف مقارنة عجيبة لم أجد أعجـــب منها في حياتي!! مع أن الاثنين عندي لا آخذ برواياتهما.

---

(٢٩) كان هذا رأيي القديم كنت أرى أن في معاوية وسعيد بن العاص فضلاً فأنا راجع عن ظني ذلك بعد أن بحثت سير هؤلاء القوم، فسوء السيرة تغلـــب عليهم وإن كان سعيد بن العاص أخف بكثير من معاوية.

لكن الدكتور العودة وقع في تحريف عجيب متعمد وأنا لم أجزم أنه متعمد إلا وأنا علـــى يقـــين وسيأتي بيان ذلك لكن المقارنة كانت ظالمة بسكوت الدكتور على كلام أهل الجرح والتعـــديل في سيف واظهارها في أبي مخنف وهذا لم أستغربه فهو سهل قياساً بما ذكره الدكتور عندما قال (أمـــا الطامة الكبرى فوق ما تقدم فهو سب أبي مخنف للصحابة وروايته الموضوعات عن الثقات، وفي هذا يقول ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات. وقال السليماني: كان يضع للروافض —لسان الميزان (٣٦٦/٤)اهـــ.

أقول: الدكتور العودة يعرف أن كثيراً من القراء أضعف من أن يرجعوا للمصادر ويحاكم هـــذه الأقوال، فهذه الأقوال ليست في أبي مخنف وإنما في عمرو بن شمر الكـــوفي فـــارجعوا إلى اللســـان (٣٦٦/٤) تجدوا هذه الأقوال في ذم عمر بن شمر وليس في تلك الصفحة ذكر لأبي مخنف البتة!!

لكن أتدرون لماذا فعل هذا الدكتور؟

فعل هذا لأن سيفاً متهم بالانحراف عن علي فيريد الدكتور أن يثبـــت أن أبـــا مخنـــف (يشـــتم الصحابة)!! ثم سيف متهم بالزندقة والوضع في الحديث فأراد الدكتور العودة أن يتهم أبـــا مخنـــف بالوضع في الحديث أيضاً!!! ولما لم يجد في ترجمة أبي مخنف ما يسعفه ذهب إلى شيعي آخـــر اسمـــه (عمر بن شمر!!) ونقل الأقوال فيه إلى أبي مخنف !! وهذه كما قلت من أعجب التحريفات المتعمدة التي رأيتها في حياتي!! والغريب أن السليماني في الموضع المشار إليه قال (كان عمرو يضع للروافض) فقام الدكتور وحذف كلمة (عمرو)!! لأنه لو أبقاها لعرف القراء الجادون — إن عادوا- أن المقصود عمرو بن شمر وليس أبا مخنف لكن لا يجوز أن نذمه بالجرح الموجود في غيره!! كمـــا لا يجـــوز أن نتهمه بالوضع في الحديث لأن سيفا يفعل ذلك!!

على أية حال أرجو ألا يستغرب القراء فهذا أمر يستحله كثير من وعاظ التاريخ ولو ترجعـــون لكتاب الرياض لرأيتم العجائب من النقول التي نقلها الدكتور محرفة لكنها —على أية حال- أخـــف من عجائب الدكتور هنا!! ثم يذكر الدكتور أن سيفاً محل تزكية في التاريخ! وهذا سبق الجواب عليه بأن من يكذب على النبي ﷺ فلا ننتظر منه أن يصدق في التاريخ.

كما ذكر أن الذهبي (اعتمده) أحد المصادر المهمة في تاريخ الإسلام!! وهذا تحميل للذهبي ما لم يقل فالذهبي لم يفعل هذا البتة إنما ذكر أنه (اطلع) على كتب أفاد منها، وذكر منها كتاب سيف وهناك فرق بين (اعتمد) و(اطلع) ثم إن الذهبي قد روى لأبي مخنف والواقدي أضعاف ما رواه لسيف بن عمر بل لم يرد لسيف بن عمر في تاريخ الإسلام كله إلا سبع روايات!! فأين الاعتماد؟! و لم يذكر الذهبي عن سيف حرفاً عن ابن سبأ وإنما نقل في أمور أخرى، فإذا كان الدكتور العودة مقلدا للذهبي فليقلده مطلقا أو فلا يلزم الناس باجتهادات الذهبي.

وقد تحدث الدكتور الهلابي عن ازدواجية الدكتور العودة وكنت أظن أن في كلام الدكتور الهلابي مبالغة، حتى رأيت مقال الدكتور العودة فعرفت أن الازدواجية والانتقائية من أخف عيوب كتابات الدكتور عفا الله عنا وعنه.

على أية حال: أنا مستعد للتحاكم أنا والدكتور لأية جهة علمية يرى أهليتها للنظر في الأمور التي اختلفنا فيها وليس في العلم منتصر ومهزوم إذا صحت النية وكان الهدف هو الحقيقة.

الملحوظة الرابعة عشرة:

ذكر الدكتور أن المحاربي قد روى عن سيف وهو قبل الطبري!! وظن أن هذا القول يتناقض مع قولي بأن (الطبري أول من أشهر روايات سيف بن عمر وكانت قبل ذلك خاملة جداً).

أقول: سبحان الله!! هل ترى تناقضاً بين هذا وهذا؟! إذا كان الدكتور العودة لا يعرف إلا المحاربي راوياً عن سيف فأنا أعرف خمسة عشر راوياً عن سيف! لكن كلامي السابق عن (أول من أشهر) روايات سيف وليس (أول من روى) عن سيف!!

لكن الدكتور كالعادة لا يعرف دلالات الألفاظ وهو بهذا يتعبنا جدا في الحوار ونتعب القراء بمثل هذا التوضيح للواضح الذي يدل على أن الدكتور وجد شحاً من الملحوظات حتى لجأ لمثل هذه الأشياء.

الملحوظة الخامسة عشرة:

دافع الدكتور عن تعصب سيف لقبيلته بني تميم وذكر دفاع جواد علي عنه!! والغريب أن الدكتور العودة يأخذ علي أنني وافقت العسكري في بعض النتائج لأنه شيعي! بينما هو ينقل هنا عن جواد علي وهو شيعي أيضاً!! ثم إن اتهام سيف بالتعصب لم يقتصر على الشيعة بل قاله الدكتور أكرم العمري والدكتور محمد بن صامل السلمي قبلي وهما سنيان، والدكتور العودة يحيل عليهما عند الحاجة!! لكنه إن وجد دفاعاً لأحد الشيعة عن سيف ذهب إليه!! وهذه ازدواجية ما كنت أتمنى أن يفعلها الدكتور سامحه الله.

الملحوظة السادسة عشرة:

قول الدكتور العودة (والمظنون بالذهبي أنه يفرق بين كلمة (إخباري عارف) لسيف بن عمر وكلمة (إخباري تالف) لأبي مخنف)!!.

أقول: وأهمل الدكتور العودة قول الذهبي في سيف (تركوه واتهموه بالزندقة!!)، كما أهمل قول الذهبي عن سيف (هو من بابة أبي مخنف!..) انظر سير أعلام النبلاء (٣٠٢/٧).

فهذا نص من الذهبي في المساواة بين سيف بن عمر وأبي مخنف وأظن الذهبي لم يوفق للصواب فأبو مخنف فرق سيف يعرف هذا من قارن روايات الرجلين وإن كنت أضعف الاثنين وأطرحهما[٣٠].

الملحوظة السابعة عشرة:

ثم زعم العودة أن ابن حجر قال مثل قول الذهبي (إخباري تالف لا يوثق به..) ثم أحال على اللسان (٤٩٢/٤)!!

---

[٣٠] راجع بعض الهوامش السابقة قبل قليل.

أقول: وكأن الدكتور العودة لا يعرف منهج الحافظ في اللسان فإنه نقل القول السابق عن الذهبي نفسه!! وعلى هذا فالقول السابق للذهبي وليس للحافظ وباستطاعة الدكتور أن يسأل وسيعرف منهج الحافظ في اللسان أو ليقرأ المقدمة وكفى ففيها الجواب!! وفي ظني أن العودة أعلم من أن يجهل مثل هذه البديهيات لكنه يريد أن يتساوى أبو مخنف في الجرح مع سيف بن عمر!! ووجد الجرح في سيف أقوى وأكثر لذلك لجأ إلى زيادة المجرحين ونسبة هذه الأقوال لغير أصحابها، ومع ذلك نجده يتحدث عن شيء اسمه (الأمانة العلمية)!

الملحوظة الثامنة عشرة:

ثم نجد العودة بعد كل التحريفات السابقة وبعد خلطه لترجمة عمرو بن شمر مع ترجمة أبي مخنف وبعد تقوله على الذهبي وابن حجر ما لم يقولاه يأتي ويقول: (ترى هل فاتت هذه المعلومات على المالكي)؟!

أقول: نعم، لقد فاتتني واعترف بجهلي الكبير فيها!!

ثم يواصل ويقول: (فتلك مصيبة!! أن يذهب من عمره أربع سنوات في دراسة هذه الموضوعات!! ثم تند عنه هذه المعلومات)!!.

أقول: اللهم لا تعليق.

ثم لا يكتفي بهذا ويواصل في البناء على ما سبق ويقول: (أم أن لديه علماً بها واطلاعاً عليها ولكنه –لحاجة في نفسه!!– أخفاها فالمصيبة أعظم!!).

أقول: لا تعليق !!

ثم يأتي ويدعوني لقبول هذا (الحق) الذي جاء به!! وطلب مني أن أكون شجاعاً في العودة إليه!! وليت شعري من منا المطالب الآن بالتحلي بالشجاعة والاعتراف بالخطأ!! ثم يطالب بعد كل هذا

بأن (أعيد النظر) لسيف!! وأبي مخنف!! (وفق هذه النصوص!!) التي نقلها والآراء الواضحة!! التي لا تحتمل التأويل!! وليس فيها إبهام!! ولا غموض!!).

أقول: أيضا لا تعليق.

وأخيراً: أنا أجد نفسي عاجزاً عن تتبع تحريفات الدكتور أو سوء فهمه لكلامي فكيف بالأوهام التي وقع فيها عن حسن نية أو سوئها وأنا ذكرت هذه كنماذج وتركت تلميحات الدكتور بالاتهامات المبطنة لقناعاتي أن الدكتور لم يفعلها عن قناعته وإنما اتباعاً لأسلوب سيف بن عمر مع عمار بن ياسر وأبي ذر! أو للأسلوب السائد في رد الحقائق وهي باتهام صاحب الحقيقة في نيته ومنهجيته ، وأنا أدعو القارئ الكريم أن يرجع –إن كان يريد الحق- لما كتبته وما كتبه الدكتور وسيعرف بنفسه كثيراً من الحقائق إذا امتلك المنهجية أما (قارئ آخر صيحة) فلسنا بحاجة إليه ولا العلم بحاجة إليه ففي الناس أبدال، والله الموعد وهو الحاكم بين جميع العباد.

إيماءة:

أخي الدكتور محمد العزام..

اطلعت على ردك في صحيفة (الرياض) الأسبوع الماضي وأشكر لك مشاركتك لكنني أعتب عليك في ترك لب الموضوع جانبا والتركيز على كثير من الأمور الشكلية مع إساءة فهم أحياناً، وقد تصيب في ذكر أشياء فنية.. مع أهمية التركيز على الأولويات في هذه المقالات.. مع شكري مجدداً[٣١].

---

[٣١] الأخ الدكتور محمد العزام كتب ثلاث مقالات في صحيفة الرياض، وهي منهج جيد في الاعتذار عن خرافة وكل حديث موضوع، إذ يمكن بهذا المنهج أن نصحح كل شيء لذلك لا أعتقد أن هذا الأخ الكريم يرى في التاريخ خبراً مكذوباً البتة، وإن استطاع أن يقدم لي أخباراً يرى أنها موضوعة فأستطيع بسهولة تصحيحها بمنهجه المتوسع جداً الذي طرحه في تلك المقالات، هذا مع اعترافي له بحسن العبارة والأدب مع المخالف.
(ولي وقفه مع مقالاته في المستقبل إن شاء الله لأنها تمثل نوعاً جديداً يحسن مناقشته).

المقال الثاني[٣٢]:

تهريب عبد الله بن سبأ!

اطلعت على اللقاء الذي أجرته صحيفة المسلمون مع الدكتور سليمان بن حمد العودة يومي الجمعة ٥ (و) ١٢ ربيع الأول من هذا العام ١٤١٨هـ وكان اللقاء رداً عليَّ وعلى الدكتور عبد العزيز الهلابي[٣٣] الذي ينكر شخصية عبد الله بن سبأ بينما أنا أنكر دوره في الفتنة فقط أما وجوده فهو لا يعنيني كثيراً وما زال إلى الآن موضع تناقض كبير في الأدلة المثبتة فالدكتور العودة خلط بين المسألتين.

والدكتور العودة – هدانا الله وإياه إلى الحق – يدعونا لتحري الأمانة العلمية وأنا أدعوه للأمر نفسه ولو قامت جهة علمية للنظر بحيادية للنظر فيما كتبه الثلاثة (المالكي والهلابي والعودة) لتحديد من يتجافى عن (التحري العلمي) لكان مما يسرني لأنني أزعم أن الدكتور العودة لم يتحر الأمانة العلمية وتبين لي أخيراً أنه يحرف الحقائق بتعمد وليس بإساءة فهم وعندي الأدلة والبراهين على ذلك مما سنذكر بعضه في هذه المقالات وقد سبق بعضه، وبما أن العودة أيضاً يدعوني للتحري الأمانة العلمية! فلا بد إذن من جهة ثالثة محايدة مرضية من الطرفين تحكم لأحد الاثنين أو تحكم ضدهما جميعا أو براءتهما جميعا أما

---

(٣٢) نشر هذا المقال في جريدة المسلمون بتاريخ ١٩/ربيع الأول /١٤١٨هـ. وقد تعاضدت صحيفة المسلمون يومها مع الدكتور العودة وحذفوا الجزء الثاني من هذا المقال، ونشروا ردوداً أخرى للعودة وعلي رضا وغيرهم ولم يتيحوا لي الرد زعماً من رئيس التحرير يومها–الدكتور عبد الله الرفاعي– أنه تلقى اتصالات من الشيخ صالح الفوزان! وهكذا فلتكن (الصحافة الإسلامية)! فهل يستطيع الرفاعي للفوزان مخالفة؟ والأخ الدكتور الرفاعي وثقت به دهراً فعلمت فيما بعد أنني كنت ساذجاً! وما زلت، لكن بسذاجة أخف قليلاً.

(٣٣) هو أستاذ تاريخ في جامعة الملك سعود، حصل على الدكتوراه من جامعة سينت أندروز البريطانية عام (١٩٧٤م) قبل أن أدخل الصف الأول ابتدائي! والدكتور الهلابي يتحلى بخلق كبير وأدب جم مع تواضع نادر في رجل مثله، يتحرج من الثناء، وفيه تخوف أيضاً! فلا يفضل الدخول في الحوارات خاصة مع الغلاة ، وهو مؤرخ قوي المنهج مطرد التطبيق، ومتسائل أيضاً فلا يتبنى الآراء المسبقة، ويملك الاستعداد الكامل للرجوع إلى الصواب أكثر مما أمتلك أنا وخصومي، وله آراء وأحكام على بعض الأحاديث والمرويات أخالفه فيها وقد أبلغته ببعضها فتقبلها مشكوراً، وله عدة مؤلفات صغيرة (أبحاث) وهو في الجملة رجل مقل من التأليف وغير منتج ولعل ذلك يرجع لكثرة التكليفات التي يكلف بها من أكثر من جهة علمية، ولعل أبرز أبحاثه بحثه عن (عبد الله بن سبأ) توصل فيه إلى أن عبد الله بن سبأ شخصية مختلقة اختلقها سيف بن عمر التميمي، وقد دهشت لعلميته في هذا الكتاب وقوة منهجه وأعتبره من أساتذتي الذين تعلمت من منهجهم التاريخي وإن لم أتعلم منه مباشرة، وهو رجل خلوق وسني أيضاً – لمن يهمه التصنيف!– لكن سنيته كسنيتنا لا يبغض الإمام علي ولا أهل البيت ولا يغلو في بني أمية، لكنه في الوقت نفسه لا يبالغ في ذم بني أمية ولا يهمه النصب ولا التشيع، وهو قليل الاختلاط بالناس مقبل على نفسه، وقد ذمه بظلم مجانين سيف بن عمر كالدكتور العودة والدكتور الفريح فما زاده هذا عند من يعرفه إلا علواً ورفعة، وفقه الله، وأقول لهؤلاء الأخوة: دعوا أستاذنا الهلابي وأقبلوا إليَّ لنتحاور علناً، بوجود من تشاؤون من المحكمين، إن كنتم صادقين في معرفة حقيقة سيف بن عمر وقيمة مروياته.

أن نتراشق بالتهم فهذا لا يخدم الحقيقة وأنا أرضى بأية جهة علمية يرتضيها الدكتور العودة؛ وحتى أحدد أكثر فأنا أرضى قسم التاريخ بالكلية التي يتولى عمادتها الدكتور العودة! لتنظر ثم تخرج حكمها وتنشره بين الناس وأظن فعلي هذا فيه غاية الإنصاف فهل يوافق الدكتور العودة على هذا أو على المنـــاظرة أم يستمر في التهرب ورمي اخوانه المسلمين بالاتهامات في المجالس وعلى المنابر[٣٤]!

الوقفة الأولى: تحرير موضع الخلاف بيني وبين العودة:

أحب في البداية أن أنبه الأخوة القراء إلى أمر سيسّهل علينا اختصار كثير من الأمور وهو كما قلـــت سابقاً: أن الدكتور العودة قد حملني نفي (وجود عبد الله بن سبأ) مطلقاً! بينما أنا أنفـــي (دوره في الفتنة) فقط، بمعنى أنني أمتلك عن أحداث الفتنة أسانيد صحيحة تفسر لي كيف حدثت الفتنة ولســـت بحاجة لأسانيد سيف وأمثاله من الضعفاء والكذابين[٣٥] الذين يزيفون التاريخ ويفسرون أحداث الفتنة تفسيراً خاطئاً، فهذا هو لب ما نفيته في مسألة عبد الله بن سبأ.

أما مسألة وجوده فموضوع سهل جداً، ليس موطن المعركة الحقيقي، ليس له عندي كبير أهمية، ولا ريب أن نفيي لدور عبد الله بن سبأ في الفتنة أعني به ذلك (الدور الأسطوري الكبير) الذي ينسبه إليـــه سيف بن عمر من تنقلاته بين البلدان وتحريضه على عثمان حتى قتل وإشعاله حرب الجمل ونحو هذه من الأحداث العظام التي زعمها سيف بن عمر، لا ريب أن نفيي لهذا سيضر رسالته الدكتور العـــودة، لأن نفي هذا الدور الكبير (الأسطوري) هو نفي لـــ ٩٥ % من أخبار عبد الله بن سبأ لأن بقية الأسانيد – من غير سيف – إنما تتحدث عن رجل يغلو في علي بن أبي طالب وله بعـــض العقائـــد والـــذوذات

---

(٣٤) الدكتور العودة دارس تاريخ ظفر من وزارة الشئون الإسلامية بمسجد فأخذ يهمز ويلمز ويدعو على بعض المختلفين معه على المنـــابر ويحـــذر مـــن أطروحاتهم! التي هي ضد أطروحاته ويزعم أنها ضد الإسلام! تماماً كما كان يفعل معاوية في التحذير من أهل بدر ولعنهم على المنابر مدعياً الدعوى نفسها! ولعل الأخ سليمان نسي أن التاريخ يعيد نفسه! فقد كان معاوية يتباكى بأن أهل بدر أضاعوا الحدود وهدموا الشريعة! ومثلما تبعه عوام أهل الشام فقد تبع الأخ سليمان بعض عوام أهل بريدة! ولله في خلقه شئون.

(٣٥) وصف سيف بالكذب ليس مبالغة فمروياته تشهد بذلك قبل أحكام أهل الحديث، وقد توسعت في الكلام عن سيف بن عمر في كتاب (نحـــو إنقـــاذ التاريخ الإسلامي) بما فيه الكفاية إن شاء الله، وخاصة في الفصلين الثاني والثالث من الكتاب.

الفقهية فقط![٣٦] فنفيي لأخبار عبد الله بن سبأ (في الفتنة) سيأتي على رسالة الدكتور العودة برمتها! فقد كان الهدف منها ظاهراً في عنوانها هو: (إثبات دور عبد الله بن سبأ في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) ! وعلى هذا آمل أن يعرف القراء سر (الدفاع المستميت) من الدكتور العودة عن سيف بن عمر! لأن سقوط سيف عند الدكتور ليس بالأمر السهل! إذ يعده الدكتور العودة سقوطاً كاملاً لرسالته وقدرته على البحث التاريخي وتاريخه العلمي والأكاديمي! فالمسألة أكبر عنده من تضعيف راو من الرواة، فيجب التنبه لهذا جيداً، فهو يفسر مواقف الدكتور كلها، حتى ردوده (العقدية) وخطبه (التحذيرة) مني ومن أمثالي! وما يفعله أخيراً من ترك (الذب) عن سيف وابن سبأ إلى (الذب) عن العقيدة السلفية! إنما الهدف منها (الذب) عن سيف بن عمر الذي هو (ذب) عن رسالة الدكتور الذي هو (ذب) مكانته في جامعة الإمام كعميد لأحد كلياتها، فالعملية سلسلة (مذبذبة) مترابطة، بدأت (بالذب) الكذابين وانتهت (بذبذبة) الصادقين!.

الدكتور وبراقش:

والدكتور نفسه هو الذي جنى على نفسه ووضعها في هذا الموضع الحرج، فلو اختار لرسالته موضوعاً آخر يكون فيه مساحة للتعويض ومصادر كثيرة متنوعة لكان أفضل أما أن (يربط نفسه بسيف بن عمر) بحيث يحيا بتوثيقه ويموت بتضعيفه فهذا انتحار، ويعد هذا الاختيار من ضعف تقديره للأمور وسوء استشرافه للمستقبل، خاصة وأن الرجوع عن توثيق سيف إلى تضعيفه سيكون مسبة وعاراً في مجتمعنا الذي لا يرحم الراجع على الحق، وربما لو كان العودة في المجتمع الغربي لرجع عن رأيه في سيف منذ زمن لأن المجتمع يساعده على هذا، أما المجتمع عندنا –وخاصة النوعية النادرة التي تحيط بالعودة[٣٧]– فهو يمنع العودة من العودة، ويحتاج هذا من العودة لإرادة تهز الجبال، وصبر يضاهي صبر الجمال، وهذه الإرادة وهذا الصبر غير متوفرين فينا ولا في الأخ العودة ، لأن مناهج التربية عندنا تعلمنا

---

[٣٦] مع تناقض كبير في درجة هذا الغلو، إضافة لبعض الأحكام المنقولة عن ابن سبأ التي تنقلها بعض تلك المرويات.

[٣٧] ومنها من ينكر كروية الأرض ولا يتعامل إلا بالدنانير والدراهم.

الفضائل نظرية فقط أما التطبيق فموضوع آخر تماماً، ولا شك أننا نرحم العودة من الوضع الذي هو فيه، فالأمور تنكشف يوماً بعد يوم وخاصة مع التقدم العلمي الذي لا يرحم كتاباً ولا كاتباً.

ثم أتم العودة جنايته على نفسه بتخاصمه غير الشريف مع النوعية التي ترى في الرجوع شجاعة وفضيلة، فأنا مثلاً والدكتور الهلابي وغيرنا ممن نعتبر رجوع الدكتور أو غيره إلى الحق خيراً له وللتاريخ من التمادي في الباطل قد تخاصم معنا واتهمنا بكل طامة واستعدى علينا وسبنا على المنابر، وعلى هذا يكون قد فقد المساندة الخلفية له، إضافة لتأخره في الاعتذار كثيراً، وهذا سيتعبه أكثر خاصة مع الأيام! فالناس يبحثون ويقارنون وهو يظن أن طلاب العلم اليوم هم نفسهم الموجودون عام ١٤٠٢ هـ![٣٨] ومع هذا فأنا أبشر الدكتور أن في الناس بقية ستقدر له تراجعه لو تراجع واعتذر، فلو يحاول الدكتور أن يعزم عزمة قوية ويرجع –قبل كثرة الزحمة!– إلى نفي ما رواه سيف بن عمر عن أساطير ابن سبأ في الفتنة لكان خيراً له ولعلميته– وسيعلم قيمة نصيحتي!– بل إنه سيكون بهذا الرجوع قد سجل سابقة إنصاف لم نعهد صدورها من كثير من طلبة العلم من الأكاديميين وغيرهم، ثم إن رجوعه إلى نفي أخبار ابن سبأ في الفتنة لا يعني بالضرورة إبطال رسالته (الماجستيرية) –هذا في النظام على الأقل– ولا يعني نظاماً أنه سيعود للدراسة من السنة الجامعية التمهيدية ويعود معيداً في الكلية، ولا يعني –نظاماً وعرفاً– أنه لم يبذل جهداً كبيراً في جمع المادة لرسالته، أو أنه لا يستحق الشهادة في ذلك الوقت، فهذه الظنون والوساوس إن شغلت ذهن الدكتور لا ينبغي الالتفات لها وهي لا تليق بالدكتور، وله في الشافعي أسوة حسنة فقد كان له مذهب قديم ومذهب جديد وأنا على سبيل المثال كنت أثبت دور ابن سبأ كاملاً حتى بحثته فنفيت دوره، وكنت أثبت القعقاع بن عمرو وصحبته حتى تبين لي أن المصدر الوحيد في هذا هو سيف، وكنت أرى معاوية من الخلفاء الصالحين ثم رجعت بعد أن تبين لي أمره وكنت أقسو على الواقدي فعدت لتوثيقه إلى حد ما، في الوقت نفسه كنت أتهم كل الثائرين على عثمان بالنفاق والسبئية حتى تبين لي أن فيهم صحابة كباراً من أهل بدر وأهل الرضوان، فرجعت إلى التفصيل في أمر الثوار، ولم أفقد المأكل ولا المشرب ولا المسكن، بل ولا الأصحاب والمعارف، فإذا ذهب واحد أتى عشرة، ثم لو فقد

---

[٣٨] كان الطلاب يومئذٍ يفرحون بمن دندن بالنظريات الإسلامية حتى لو وثق الزنادقة وأخذ بمروياتهم، إنما المهم عندهم النظرية وكفى، لكن أن تطعن في أبي ذر وتمدح معاوية فهذا لا يضير! بل هو يتفق مع الغلو السلفي المتلبس بالنصب.

الراجع إلى الحق كل الناس فهذا لا يعذره من الرجوع، فالمسلم الحق يرجع لأن المنهج يوجب عليه ذلك، ويوجب عليه أيضاً ألا يبقي مجالاً للشكوك والعواطف والأحاسيس على حساب الحقائق والمعلومات الصحيحة.

إلزامية المنهج:

فالمنهج مثلاً يلزمنا بالحكم بالوضع على حديث معين إذا انفرد به كذاب –حتى لو فقدنا الكثير– ويلزمنا أن نحكم على الحديث بالضعف الشديد إذا تفرد به متروك ويلزمنا المنهج بالحكم على الحديث بالضعف إذا تفرد به ضعيف وهكذا، وقد نحس في أنفسنا أن هذا الحديث الموضوع صحيح لكن هذا الإحساس ليس مقياساً صحيحاً في ثبوت الحديث وكذلك الهدف النبيل (الحرص على التراث) ليس مقياسا في الحفاظ على روايات الكذابين!.

أعود فأقول: إنني أجد خلطاً كبيراً عند الدكتور العودة وعند كثير من المؤرخين من الإسلاميين وغيرهم؛ هذا الخلط بين تطبيق المنهج وبين (الإحساس) أو (حديث القلب) أو (المصالح) أو (حب مخالفة ما توصل إليه بعض الكفار والمبتدعة) أو (حب إثبات ما ذكره بعض علماء المسلمين) وهكذا نجد كثيراً من المعايير ليست علمية البتة ولا دخل لها بالنواحي العلمية، ولو أننا نحكم على الحديث أو الرواية بالكذب لمجرد إحساسنا بصحتها لأثبتنا كثيراً من الأحاديث الموضوعة والأخبار المكذوبة! ولاختلفنا إختلافا كبيراً لأن (الإحساس) يختلف من شخص لآخر بينما المنهج في الجملة صامت لا يحابي إحساساً ولا عاطفة ثم إن الإحساس غير معتبر لا في منهج المحدثين ولا غيرهم، وإنما قيل أنه يتبعه بعض غلاة الصوفية ويطلقون عليه (التذوق) ! كما أن (مراعاة المصالح) تختلف باختلاف الرؤى نفسها فإذا كان الدكتور العودة يرى أن توثيق سيف وإثبات أكاذيبه عن ابن سبأ وغيره من باب المحافظة على المصلحة (مصلحة التراث)[٣٩]! فإن لآخر أن يدعي أن نفي هذه الأكاذيب من (مصلحة التراث) أيضاً! بل المصلحة هنا متحققه ولو كان الدكتور العودة يعلم — وقد يعلم مستقبلاً – خطورة إثبات

---

[٣٩] ثم الدكتور يضعف الواقدي وأبا مخنف ورواياتهم في التراث ضعف روايات سيف بن عمر.

روايات سيف عن ابن سبأ؛ لما رأى التمسك بها البتة لأن روايات سيف عن ابن سبأ تثبت أن بعض كبار الصحابة من بدريين وغيرهم كانوا ينفذون خطط عبد الله بن سبأ! (وسيأتي تفصيل ذلك حتى يتبين للناس أن إثبات ابن سبأ بكامل دوره أخطر من نفيه وأن أكثر علماء المسلمين على نفي دور عبد الله بن سبأ من القرون الأولى إلى اليوم) .

أعود وأقول : إنني عندما أبحث الرواية أو الحديث لا أحاول أن أرسم النتيجة قبل البحث ولا أدخل بأحكام مسبقة أو أحاول ألا افعل هذا على الأقل ولذلك فأنا متفق مع الدكتور العودة في أمور ومختلف معه في أخرى ومتفق مع الهلابي في أمور ومختلف في أخرى -مع التفاوت الكبير بين الاثنين- وهكذا ولو كنت أدخل بأحكام مسبقة وتقليد للهلابي - كما زعم الدكتور العودة - فلن اختلف معه في نتيجة من النتائج التي توصل إليها.

الوقفة الثانية :

أن الحوار مع الدكتور العودة فيه صعوبة بالغة لأن الدكتور العودة لا يثبت على منهج محدد فنجده أحيانا يحتج بمنهج أهل الحديث إذا كان يخدم فكرته فقط وأحيانا أخرى يهاجم منهج أهل الحديث ويزعم أنه غير صالح لتطبيقه على الرواية التاريخية! ومرة ثالثة نجد الدكتور محتجاً بكتب الفرق والمقالات ومرة رابعة مع كتب الشيعة والمستشرقين[٤٠] ومرة يذمها ومرة خامسة نجد الدكتور مع منهج المؤرخين وسادسة مع كتب الأدب والأنساب وهكذا إن وجد شحاً في منهج انتقل إلى غيره، وذم المنهج السابق! وهذا يصلح أن يطلق عليه (منهج تهريب عبد الله بن سبأ) مثلما يفعل الذين يهربون البضائع والأسلحة من بلد لآخر فإنهم لا يسلكون طريقاً واحداً وإنما إن شعروا بالخوف من هذا الطريق انتقلوا إلى غيره! ولا ريب أن هذا يشكل عائقاً كبيراً من عوائق الحوار، وفيه صعوبة على المتحاور مع الدكتور العودة لأنه ينتقل ويتجول بين مناهج مختلفة ومتباينة يرفضها إذا شاء ويأخذ بها إذا شاء ويهاجم من يتمسك بها

[٤٠] بينما ينقد الآخر إن اتفق في نتيجة ما مع بعض ما أورده بعض الشيعة.

في مسألة لا يراها ويهاجم من تركها في مسألة يراها وهكذا.. فإذا كانت تناقضاته في المنهج نفسه فكيف يريد منا أن نتفق معه؟!

وأنا أريد أن اسأل الدكتور العودة أسئلة محددة وهي :

-هل ترى تطبيق منهج المحدثين على الرواية التاريخية أو لا؟

-إذا كنت ترى هذا فهل ترى تطبيقه على كل المؤرخين أم ترى تطبيقه على سائر المؤرخين ما عدا سيف بن عمر؟

-ولماذا يكون سيف فوق مستوى منهج المحدثين؟

– وما ذنب الواقدي وأبي مخنف واليعقوبي وغيهم من الذين تضربهم بهذا المنهج بينما لا تطبقه على سيف؟!

– هل سيف بهذه القدسية؟! وما سراختصاصه بها؟

أنا أحترم المؤرخين الذين يكون موقفهم مطرداً ومنهجهم واضحاً محدداً حتى وإن اختلفت معهم في المنهج أشد الاختلاف فأنا أحترم الدكتور الهلابي وأثني عليه لأنه واضح لا يتلون وهو يتعامل مع المتون بعيداً عن منهج أهل الحديث وأنا أختلف معه في هذه المسألة اختلافاً جذرياً لكنه بعيد عن ازدواجية الدكتور العودة وأمثاله الذين يتشدقون بمنهج المحدثين ويتخذونه مطية لرد الروايات التي لا يحبونها بينما لا يطبقون المنهج –باعترافهم–على رواياتهم المحبوبة وفي مقدمتها أكاذيب سيف بن عمر التي ملأت بطون الرسائل الجامعية! والتي خالفت المتواتر، وطعنت في الأبرياء كعلي وعمار وأبي ذر وعدي بن حاتم وغيرهم من ضحايا سيف بن عمر! ومجدت الظالمين واعتذرت عنهم بخلاف ما تواتر في الأحاديث والمرويات.

والذي أعرفه مثلاً في منهج المحدثين أنه يمكن تطبيقه على كل المحدثين فضلاً عن المؤرخين، أما الدكتور العودة فهو يطبقه على الجميع من المحدثين والمؤرخين إلا سيف بن عمر فقط! فهو لا يرضى أن يطبق عليه هذا المنهج! لأن تطبيقه هذا المنهج على سيف يعني تطبيقه على رسالة الدكتور وهذا التطبيق الصارم لن يخدم سيف بن عمر ولا رسالة العودة، فهذه مكابرة حتى وإن كان فيها حماية لرسالة الدكتور

لكن ليس فيها حماية للحقيقة التاريخية ولا ريب أن التضحية برسالة أسهل مـن التضـحية بالحقـائق التاريخية، أما الأكالون بالأكاذيب الشاربون بالخرافات المستغفلون للباحثين فهم لا يستطيعون الانفكاك عن هذه الأساطير والاستغفالات لأنها لهم كالماء للسمك لو خرج منه لمات!

نماذج من ذلك

وحتى يكون اتهامي للدكتور علمياً موثقاً لا إنشائياً عاماً فإليكم نماذج من تناقضاته التي كنت أربأ به عنها لكن يبدو أن حب سيف بن عمر يعمي ويصم كحب سائر الأشياء:

النموذج الأول :

انتقد الدكتور العودة على الدكتور الهلابي عدم اعتماده على منهج أهل الحديث فقال : في لقائه في المسلمون بالحرف الواحد: (والهلابي لا يرى اعتماد أحكام أصحاب الجرح والتعديل على الإخباريين! ويرى أن القضايا التاريخية لا تعالج حسب حكم أصحاب الحديث! على رواياتها إيجاباً أو سلباً بـل إن الروايات نفسها تعرض على محك النقد والتمحيص والمقارنة..) ! ثم يتساءل العودة ويقـول بـالحرف الواحد : (ونحن بدورنا نقول : أي منهج هذا؟! وماذا بقي للدكتور يرتضـيه مـن تراثنـا ومنـاهج أسلافنا؟!)[٤١]

أقول : أنتم هنا تلاحظون أن الدكتور العودة يرى تطبيق أحكام الجرح والتعديل على الإخبـاريين ويرى أن القضايا التاريخية يجب أن تعالج سلباً وإيجاباً وفق منهج المحدثين أليس كذلك؟! وأنه لا يكتفـي بعرض المتن فقط على المحك والدراسة والمقارنة بعيداً عن الإسناد؟! والدكتور العودة هنا أصاب وأنا في

---

[٤١] من حيث الجملة، ومنهج المحدثين هو منهج من جملة مناهج يجب أن توظف في البحث عن الحقيقة، وكنت قديماً أرى أن (منهج المحدثين) هو المنهج الوحيد الذي نستطيع أن نعرف به صحيح المرويات وضعيفها لكن الصواب أنه ليس الوحيد.

هذا النقطة مع الدكتور العودة ضد الدكتور الهلابي لكن تعالوا إلى تطبيقات الدكتور العودة فماذا كان نصيب هذه النظرية الجميلة؟!

أولا : الدكتور العودة لم يطبق هذا المنهج البتة على أكثر من (٤٦٠) رواية احتج بها في رسالته (عبد الله بن سبأ) لم يدرس أسانيدها البتة وفي تلك الروايات من الأكاذيب وضعف الرواة وانقطاع الأسانيد والطعون في الصحابة ومخالفة الصحيح مالا يكاد يقع تحت الحصر! ومن لم يصدق فالرسالة مطبوعة وموجودة في الأسواق ستجدون أنه ينسب هذه الأخبار للمصادر التاريخية والأدبية! وكتب الفرق والمقالات! ولم أجده مطبقاً هذا المنهج إلا على سبع روايات فقط! –مع خطئه في أكثر هذا أيضاً– فأين الدعاوى النظرية؟!

وكأن الدكتور العودة لا يعرف أن قوله : (رواه الطبري) مثلاً لا تعني تعديلاً ولا تضعيفا لأن الطبري روى أخباراً صحيحة وضعيفة وموضوعة ومنكرة..الخ فأين منهج المحدثين الذي ينادي به الدكتور العودة ويطالب الهلابي بتطبيقه؟! هلا طبقه على روايات رسالته؟! (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون)؟! (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ؟!

إذن فالدكتور العودة بحاجة إلى أن يتذكر نفسه جيداً من الناحية التطبيقية لأنه يبدو أنه قد نسي ما سطره قلمه في رسالته (السبئية) .

ثانيا : أيضاً قارن الدكتور العودة سيف بن عمر بغيره من المؤرخين في كتابه من ص(١٠٥) إلى ص (١٠٨) فما ذا فعل؟! لقد جلدهم جلداً بمنهج أقسى المحدثين فلما جاء سيف ووجد أن أحكام أهل الحديث –متشددهم ومتساهلهم– عليه بالكذب والترك والزندقة واضحة اضطر للتخلي عن منهج المحدثين – الذي طبقه على هؤلاء المساكين – فقال في الهامش ص٣٠٤: (لا بد من التفريق بين رواية الحديث ورواية الأخبار الأخرى... فلا بد من مراعاة هذا المقياس وتطبيقه على سيف محدثا وإخباريا) !

هكذا إذن؟!!

فالدكتور العودة هنا استل سيف بن عمر من أحكام أهل الحديث كما تستل العصا الغليظة من خمير العجين، أعني أستلالاً واضحاً مرئياً، وليس خفياً، وهذا للأسف ديدن معظم المؤرخين الإسلاميين وأنا

هنا أنقد دارسي التاريخ الإسلاميين المعاصرين أكثر من غيرهم لأهم شوهوا منهج المحدثين بالازدواجية التطبيقية والانتقائية المؤسفة أما غيرهم من سائر المؤرخين من شتى المذاهب فلم يدّعوا -بتشديد الدال- تطبيق المنهج ؛ ولم يدعوا إليه نظرية ولا تطبيقاً وعلى هذا فلن يستطيعوا تشويهه حتى وإن خالفونا مخالفة جذرية في النظرية تلك المخالفة التي أعذرهم فيها لأهم يرون تطبيقات مثل الدكتور العودة واستغلاله لهذا المنهج استغلالاً مذهبياً ضيقاً مع استغفال من يجهل هذا المنهج من المناقشين والمشرفين(٤٢) فضلاً عن الطلاب.

إذن فمن أسباب عدم اقتناع بعضهم بمنهج المحدثين هو سوء التطبيقات التي يروها عند بعض المؤرخين الإسلاميين التي تظهر منها الازدواجية والانتقاء وغيرها من العيوب التي تبدو ظاهرة في كتابات الدكتور العودة ولذلك أرى أن بعض المؤرخين من الإسلاميين أكثر ضرراً على منهج المحدثين من المستشرقين والشيعة الذين يتباكى الدكتور من كتاباتهم مع أنه قد نهل منها حتى ارتوى(٤٣)!، فما شوه هذا المنهج إلا كتابات أبنائه ممن لا يحسنونه حتى وإن كانت كتاباتهم بحسن نية وحبا في الرد على المخالفين والظهور بمظهر الحريص على عقيدة الأمة!.

فسيف بن عمر مثلاً لو يقرأ أحدنا ما كتبه عنه من يذمهم الدكتور العودة من بعض (المستشرقين) وبعض (المبتدعة)! لوجد أن أحكامهم على سيف أقرب لمنهج المحدثين مما كتبه عنه الدكتور العودة (السلفي الداعية الواعظ) ! مع أن الدكتور العودة يظهر أنه حسن النية لكن حسن النية في بعض الأمور، لا تكفي ولا بد لها من منهج وهذا ما يغفل عنه كثير من الأخوة الأفاضل فهم يظنون أن الاعتراف بما عند المسلمين أو ما عند غير أهل السنة، من علم وبحث وجهد يعتبر ميلاً لهم وأن هذا يعد مؤامرة! ويخالف عقيدة الولاء والبراء! ...الخ.

---

(٤٢) كالدكتور إبراهيم شعوط صاحب (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) فمن قرأ كتابه يعرف أنه ليس في منهج المحدثين ولا المؤرخين من قريب ولا بعيد، وكان المناقش الأول للدكتور العودة في رسالته وكان المناقش الثاني سيد رضوان علي -وهو المشرف ايضاً- والمناقش الثالث علي حسني الخربوطلي وهذان الأخوان الكريمان ليسا معروفين بعلم الحديث ولا أعرف لهما انتاجاً أو اهتماماً في الموضوع، ولا ريب أن الواحد من هؤلاء إذا سمع بعبارات الأخ العودة المتبجحة بعلم مصطلح الحديث سيظنان أنهما أمام من يعي ما يقول، إن لم يظنا أنهما أمام شعبة أو يحيى القطان، ولهذا سيستسلمان لآراء العودة خاصة وأن المناقشة ليست في جامعة القاهرة أو جامعة الأزهر وإنما في جامعة الإمام والناس لا يرغبون في (وجع) دماغ! أو ضياع وظيفة، فلهما عبرة بمن حاول تحسين المنهجية العلمية!.

(٤٣) سيأتي إثبات ذلك.

وهذا خلط بين أمور متباينة فلا تلازم بين (البراءة من دين الآخر) و (الاعتراف بما عنده من حق) فإذا وجد المسلم لهذا الآخر (من المخالفين ديناً أو عقيدة) بحثاً جيداً في التاريخ أو غيره فلماذا لا يستفيد منه مع براءته من دينه أو غلوه العقدي، وفي المقابل لو وجد الواحد منا رسالة هزيلة لأحد الأخوة الدعاة الخطباء! فهل يلزمه حب ذلك الرجل في الله على الإشادة برسالته الهزيلة؟!والأخذ بنتائجها الباطلة؟! أظن أن الجواب واضح.

إذن أرجو أن يفرق الأخوة بين المسألتين فإذا فرقوا بينهما تبينت لنا كثير من الحقائق، وللأسف أن أكثر دارسي التاريخ الإسلاميين خاصة داخل المملكة بل كثير من طلبة العلم الشرعي يخلط بين هذه الأمور المتباينة متناًسين صواب الأثر القائل: (الحكمة ضالة المؤمن فأين وجدها فهو أحق بها) وهذا معناه صحيح وإن لم يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتدل عليه تطبيقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والتابعون وسلفنا الصالح –الصلاح الحقيقي لا المدعى-.

الوقفة الثالثة: استثارة العواطف!

الدكتور العودة إن افتقد الدليل والبرهان لجأ للعاطفة واستثارتها عند الجماهير! فالرجل خطيب! وهذا أيضاً أسلوب متبع عند كثير من الناس فتجدهم يتهمون إخوانهم في الدين إن اتفق أحدهم في مسألة معينة مع أحد المستشرقين أو غيرهم فإنهم يحاولون أن يربطوا بينهما في الفكر لمجرد الاتفاق في مسألة أو أكثر! وهذا ظلم وحجر على البحث العلمي وتناقض مع ما يفعله الرابط نفسه.

وعلى سبيل المثال نجد الدكتور العودة في لقاء (صحيفة المسلمون) يتهم الدكتور الهلابي بأنه (يريد!) إحياء أراء مرتضى العسكري! ودليله في هذا أن الرجلين اتفقا في نفي وجود عبد الله بن سبأ! مع أن الدكتور الهلابي ذكر في دراسته عن ابن سبأ أنه لم يطلع على دراسة العسكري! وقد أخبرني بذلك أيضاً، ثم لو أطلع عليها واتفقا في بعض النتائج أو جلها فهل يعني هذا أن هناك ارتباطاً فكرياً بين الرجلين؟! ألا توجد اتفاقات سنية شيعية على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يغزو الصومال ولا الكونغو!

إذن فإبطال دور ابن سبأ قد يتفق عليه سنة وشيعة.

هل تكذيب سيف صادر من الشيعة فقط أم صدر قبلهم من المحدثين؟ هل نفي ابن سبأ حكر على الشيعة أم أنه مشاع للبحث العلمي؟!

وكذلك لما أثنيت أنا على (بعض الأنصاف) في كتب طه حسين بتر الدكتور عبارتي وزعم أنني قلت: إنه (منصف) ثم حاول الدكتور أن يربط فكرياً بيني وبين الدكتور طه حسين! ثم نقل أسوأ ما قاله طه حسين وزعم أنه هو (الإنصاف) الذي أعنيه! وهذا من الإنصاف عند الدكتور العودة !

والغريب أن الدكتور نسي أنني حذرت من كتابات الدكتور طه حسين في متن الكتاب[٤٤]، لكنني اعترفت في الهامش بأنني أحياناً –بل كثيراً– أجد إنصافاً في كتاباته وهذا حق لا أتبرأ منه والدكتور العودة نفسه استشهد في رسالته بكثير من أقوال المستشرقين والمبتدعة فهل يريد منا أن نلزمه بأنه يعتقد عقائد هؤلاء؟! إذا كانت المسألة مسألة تنابز بالاتهامات والالزمات الباطلة فهذا يسير وكل منا يستطيع التحريف والبتر والربط بين المؤلف وعقائد آخرين وأفكارهم! لكن هل هذا المنهج الخاطئ يساعد في البحث العلمي؟! هل هذا المنهج منهج إسلامي؟! إذن فالدكتور العودة مطالب بإعادة النظر في أساليب محاربته للآخرين فيجب أن تكون المحاربة شريفة وأن تستخدم فيها أسلحة الأدلة والبراهين للآخرين وليس أسلحة العواطف واستثارة الجماهير تلك الاستثارة التي لا تقوم على العدل ولا على الإنصاف وإنما

---

[٤٤] مع أن التحذير كان مني بعاطفة تعميمية ظلمت فيها الدكتور طه حسين ظلماً كبيراً وظلمتُ الحقيقة فقد زعمت يومها –وكنت يومها طالباً جامعياً فيه تهور كعادة طلاب الغلو السلفي– قلت: إن كتب طه حسين وغيره ممن سميتهم يومئذ (المستغربين) لم تعد أباطيلهم تنطلي على أحد ولا تستميل ذا لب!!...وأنها كتب الزور والبهتان...الخ العبارات السلفية التعميمية الفجة، وأعود اليوم–بعد أن تجاوزت الثلاثين– لأعترف بأن كتابات الدكتور طه حسين عن الفتنة كانت في الغالب رائعة متفقة مع الروايات الصحيحة، أما أسوأ ما كتبه الدكتور طه حسين (عن وجود نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل) فقد رجع عن ذلك سمعت هذا من الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في بيته، والشيخ الجاسر نقل هذا سماعاً عن طه حسين نفسه –فالإسناد عالٍ!–، وذكر الشيخ الجاسر أن الدكتور طه حسين اعترف أن هذا من مجازفات الشباب وهفوات الصبا، وقد نشرت فيما بعد بعض الصحف السعودية كلام الشيخ الجاسر نفسه، فالحمد لله الذي وفق الدكتور طه حسين للرجوع عن هذه المجازفة غير العلمية، فهو أعقل وأعلم من أن يستمر على ذلك الرأي مع مصادمته لصريح القرآن الكريم، والدكتور العودة لعله لم يغضب على الدكتور طه حسين من أجل تلك (المجازفات) وإنما من أجل رأيه في نفي دور ابن سبأ الذي أيده عليه الشيخ المحدث عبد الرحمن المعلمي في كتابه الأنوار الكاشفة! فلذلك حرص الدكتور العودة على نقد طه حسين في هذه المسألة (مسألة ابن سبأ) مغفلاً تزكية الشيخ المحدث عبدالرحمن المعلمي لما كتبه طه حسين فيها! ؟لأن الدكتور طه حسين لن يجد مدافعاً عنه في بريدة بخلاف المعلمي.

على بتر النصوص وإلزام الأباطيل، وهذه الأساليب يمكن للطرف الآخر استخدامها بكفاءة أيضاً! لكنها لا تخدم البحث العلمي لأنها غير علمية وأظن الدكتور العودة يعرف هذا تماماً.

الوقفة الرابعة: لماذا يصر الدكتور على الخلط بين مسألتين مختلفتين؟!

الدكتور العودة يصر إصراراً عجيباً على الخلط بين مسألتين مختلفتين تماماً لا تلازم بينهما، وهما:

- مسألة (وجود) عبد الله بن سبأ[٤٥] وهذه وجدها الدكتور في روايات غير رواية سيف بن عمر وتبقى هذه الروايات بحاجة إلى دراسة هل هي كافية -مع ضعفها وتناقضها- لإثبات وجوده أم لا، لكن هذه المسألة الخلاف فيها يسير.

-أما المسألة الكبرى التي تقلق الدكتور كثيراً فهي (دور) عبد الله بن سبأ (في الفتنة) ! فهذه لم يجد الدكتور العودة فيها سوى رواية سيف بن عمر! و (دور) ابن سبأ في الفتنة هو الأساس وهذا الدور لم يتفوه به أحد غير سيف بن عمر ورسالة الدكتور قائمة على إثبات المسألة الأخيرة، لأن رسالته في التاريخ وليست في العقيدة!

وحتى أوضح الفرق أقول : خذوا شخصية مشهورة مثل خالد بن الوليد متواترة الوجود لا يشك في وجودها أحد، ألا توجد أخبار لخالد بن الوليد لا تصح؟ إذا كان خالد بن الوليد موجوداً هل يعتبر هذا مبرراً لإثبات كل الأخبار التي نسبت إليه سواء كانت صحيحة أم مكذوبة[٤٦] أم أنه لا يجوز أن تنسب إليه إلا الأخبار الصحيحة المقبولة؟ لا ريب أنكم تتفقون معي أنه لا يجوز أن تنسب إلى خالد بن الوليد أو غيره إلا الأخبار المقبولة لا المكذوبة أو المنكرة[٤٧]....

---

[٤٥] للأسف أن هذه المعلومة تكررت في المقالات لأن العودة كرر الخلط، ورغم هذا التكرار قد يأتي بعض الناس ليقول (كيف تقول إن سيف بن عمر انفرد بذكر عبدالله بن سبأ)!!

[٤٦] كما لو ادعى أحد أنه فاتح الأندلس!

[٤٧] وكذلك علي بن أبي طالب موجود لا يشك في ذلك مسلم ولا كافر لكن هل يصح ما ينسبه إليه بعض الشيعة الإمامية من أنه كان مع الأنبياء وأنه الذي أنجى إبراهيم من النار وأنجى موسى من الغرق وعلم موسى التوراة وعلم عيسى الإنجيل....الخ تلك الأدوار الباطلة التي نسبها إليه الكذابون من الرواة الشيعة، إذن فقضية ابن سبأ شبيه بهذا، فالعودة ولعل معه بعض غلاة الشيعة يرون أن نفي خبر عن الشخصية يعني نفي وجودها! وهذا فهم عجيب، إن لم نستغرب صدوره من غلاة الشيعة -مع أنني لا أعلم منهم أحداً يلزم هذا الإلزام- لكننا نستغرب صدوره من رجل يزعم أنه (أكاديمي وسني وخطيب جمعة) يثني على العقل في محاضراته ومواعظه!

إذن قضية عبد الله بن سبأ مثل هذه تماماً بمعنى أنه إن كان عبد الله بن سبأ موجوداً فـــلا يجـــوز أن ننسب إليه أخباراً مكذوبة كأن نقول إن من تلاميذه عمار بن ياسر وأبا ذر وأنه أحد قواد علي بن أبي طالب! وأن من أتباعه عدي بن حاتم وزيد بن صوحان والأشتر وغيرهم من خيرة الصحابة والتـــابعين! أما الدكتور العودة فإنه يعتبر أنه ما دام ابن سبأ موجوداً إذن فكل الأخبار التي نسبت إليه صحيحة حتى وإن انفرد بها كذاب! وهنا يكون خلافنا معه في أصل المنهج فنحن بحاجة - نحن وهو - إلى مراجعـــة المنهج والعقل أولا ثم الانطلاقة منهما لدراسة التاريخ أما أن تدرس التاريخ والمنهج غير متضـــح عنـــدنا فهذا خلل كبير يسبب اختلافا أكبر، ولذلك تكلم المحدثون والمؤرخون المتقدمون عن الفتنة و لم يذكروا عبد الله بن سبأ بحرف واحد حتى الذهبي وابن حجر الذين ينسب إليهما العودة توثيق سيف بن عمر في التاريخ لم يذكرا دور عبد الله بن سبأ (في الفتنة) بحرف واحد وقبل الذهبي وابن حجر نجد كل علماء المحدثين وكل المؤرخين خاصة المتقدمين منهم لم يذكروا عبد الله بن سبأ (في الفتنة)[٤٨].

انظروا إن شئتم ما كتبه علماء المسلمين عن الفتنة في كتبهم مثل تاريخ خليفة بن خياط وطبقات ابن سعد وتاريخ البخاري الأوسط وأنساب الأشراف للبلاذري، وكتب الصـــحاح والســـنن والمســـانيد والأجزاء والفوائد والمستدركات والمستخرجات والطبقات والتراجم وكتب الأدب وكتب الأنساب لم تذكر هذه المصادر حرفاً واحداً عن دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، اللهم إلا من نقل عن سيف بن عمر مثل الطبري وغيره وهذا قد أدركه الدكتور العودة جيداً لكنه حرص على خلط المســـألتين وجعلـــهما مسألة واحدة لأن رسالته قائمة على الأمر الأخير (دور ابن سبأ) لا الأول (وجود ابن سبأ) !

وعلى هذا فلو سلمنا للدكتور سليمان بأن غير سيف ذكر عبد الله بن سبأ فهل ذكـــروا (دوره في الفتنة) كما فعل الدكتور في رسالته أم ذكروا عنه أشياء أخرى كـــ (غلوه في علي) ! فالأمر الأول لم يذكره أحد غير سيف وهو معظم ما قيل عن ابن سبأ أما الثاني فهو جزء يسير جداً لا يتعدى (٥ %) من مجموع الأخبار المنقولة عن عبد الله بن سبأ فكيف يكون الـــ (٥ %) حجة في إثبـــات (٩٥%) بلا دليل ولا برهان؟!

---

[٤٨] إلا من روى منهم عن سيف بن عمر، أما أن يذكروا أسانيد أخرى فيها (دور) ابن سبأ فلا.

الوقفة الخامسة: الروايات التي أوردها الدكتور

أورد الدكتور العودة خمس روايات زعم أنها ست روايات! وفي صحيفة الرياض كان قد أورد سبع روايات زعم أنها ثمان! فهو لا يفرق بين المتابعة وبين الرواية المنفصلة، وهذا يحتاج من الدكتور لمراجعة معنى (الرواية) ومعنى (المتابعة) قبل أن يكتب في (منهج أهل الحديث) ! لأن هذه المصطلحات أساسية في فهم الموضوع قبل الكتابة فيه.

نظرة في الروايات

أما الروايات التي أوردها الدكتور العودة في لقائه في (صحيفة المسلمون) فقد سبق أن أجبت عليها في ردي عليه في صحيفة الرياض والروايات التي أوردها الدكتور العودة متناقضة وبعضها باطل.

وما دام أنه كرر الروايات ودراستها فمن حقي أن أذكر باختصار شديد ما قلته في نقد تلك الروايات وغيرها مما لم يورده فقد ذكرت في مقال صحيفة الرياض أن تلك الروايات أولا على أصناف وليست صنفا واحداً :

- فروايات تذكر (عبد الله بن سبأ) بهذا الاسم صريحاً وهي روايات ضعيفة جداً وهي ثلاث روايات لم تصح فيها رواية بل هي من أضعف ما ورد فيه.

- روايات تذكر (ابن السوداء) وهذا يحتاج لبحث هل المراد به عبد الله بن سبأ أم لا، لأن هناك اختلافاً في المراد بابن السوداء، هذا الاختلاف يحتاج من الدكتور أن يبحثه بهدوء وإنصاف إن كان يستطيع، مع أن الروايات في ذلك ضعيفة أيضاً.

- روايات تذكر (الحميت الأسود) وهذه صحيحة لكن تحتاج لبحث في المراد بهذا هل هو ابن سبأ أو غيره.

- روايات تذكر (السبئية) وهذه تحتاج لبحث هل السبئية نسبة لابن سبأ أم لا.

- روايات تذكر (عبد الله السبأي) !

- روايات تذكر (عبد الله بن وهب) !

- ورايات تذكر (عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني) !

- روايات تذكر (ابن حرب)

- أقوال تذكر (السبابية) فهل هي منسوبة لابن سبأ أم فرقة أخرى[٤٩]؟

وهذه الروايات والأقوال كلها تتضمن أسماء كثيرة نحتاج أن نثبت أن المراد بها عبد الله بن سبأ وهذه مهمة الدكتور العودة لأن كتب الفرق والمقالات التي ينقل منها تفرق بين (ابن السوداء) و (ابن سبأ) بينما الدكتور العودة كان عنوان الجزء الأول من اللقاء معه (حقيقة ابن السوداء) ! وكان عنوان اللقاء الثاني (أخبار ابن سبأ والسبئية ليست قصراً على سيف بن عمر!) ولو طالبنا الدكتور أن يثبت لنا أن ابن السوداء هو ابن سبأ ما أظنه يستطيع إثبات ذلك لا سيما وأن بعض كتب الفرق والمقالات كالبغدادي (في كتابه الفرق بين الفرق، ص٢٢٣) يفرق بين الاثنين، فهو يجعل عبد الله بن سبأ هو الذي إليه تنسب السبابية وليس السبئية! ثم ذكر ص ٢٢٥ أن (عبد الله بن السوداء) أعان السبابية على قولها! يعني أنه غير (عبد الله بن سبأ) ! وذكر ص٢٢٥ أن ابن السوداء كان يهودياً من أهل الحيرة بينما سيف يقول كان يهودياً من أهل صنعاء! وذكر البغدادي (ص٢٢٥) أن الذي قال بالوصية لعلي والغلو فيه هو ابن السوداء وليس ابن سبأ! ثم ذكر بأن علياً نفى الاثنين إلى المدائن! فالدكتور العودة يحتاج منه القارئ أن يحل هذا الإشكال.

أما (ابن حرب) فهل هو (عبد الله بن سبأ) أم (عبد الله بن عمرو بن حرب) الذي تنسب إليه فرقة الحربية من الشيعة (انظر مقالات الإسلاميين ٦٨/١) وهذا ابن حرب هو -عند الأشعري- غير ابن سبأ الذي تنسب إليه السبئية (المقالات ٨٦/١) وهذا غير (عبد الله بن وهب الراسبي) عند أكثر الناس، وهكذا فالدكتور العودة يخلط بين شخصيات هي عند من ينقل عنهم مختلفة وهو بحاجة إلى تثبيت حجته وأنا هنا ليعتبرني لست معه ولا ضده، وإنما أنا كقارئ لن أقتنع بحشر كل هذه الأسماء وجعلها دالة على شخصية واحدة فقط إلا بأدلة وبراهين تخطئ -بتشديد الطاء- بموجبها من فرق بين

[٤٩] ظاهر كلام البغدادي في (الفرق بين الفرق) وغيره أنهما فرقتان لا فرقة واحدة، أما العودة فكما جعل الأسماء أسماً واحداً فقد جعل الفرق فرقة واحدة.

شخصيات هذه الأسماء! كما أنه بحاجة إلى إجابة القارئ على سؤال وهو (لماذا لم يذكر دور عبد الله بن سبأ المؤرخون المتقدمون قبل سيف بن عمر والمعاصرون له! و لم نجد له ذكراً في تلك الدواووين المشهورة) ! وإنما اشتهر عند المتأخرين من أصحاب كتب الفرق والمقالات! وهكذا أسئلة كثيرة تستوجب على من زعم أنه بحث المسألة بحثاً علمياً أن يجيب عليها.

على أية حال : سبق أن قلت: إنه إذا كان الدكتور العودة قد جمع سبعاً من الروايات فأنا مع أنني لم أزعم أنني بحثت الموضوع إلا أنه عندي فيه من الروايات ضعف ما مع الدكتور! ومع هذا لا زلت أقول إن وجوده تحت البحث والدراسة لضعف أكثر الروايات وتناقضها، والدكتور لم يأت بجديد لأن كل الروايات التي فيها ذكر لعبد الله بن سبأ صريحاً روايات باطلة سنداً ومتناً وهي ثلاث روايات فقط وكنت أتوقع أن يكون (بحث) الدكتور العودة بعيداً عن مجرد السرد لبعض المرويات التي عثر عليها في تاريخ دمشق! فهذا لا يسمى بحثاً علمياً لكننا في هذا الزمان تعودنا أن نسمي الأشياء بغير اسمها.

نظرة في الروايات الجديدة

أورد الدكتور العودة نصوصاً جديدة لم يذكرها في مقالاته في صحيفة الرياض وذكر أن هذه النصوص (أقدم وأوثق مما ذكره الهلابي!) وذكر منها ما يلي :

النص الأول: عن ابن عباس :

ذكر العودة نص ابن عباس من رواية ابن عدي عن الساجي عن ابن المثنى عن عثمان بن الهيثم عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وفي النص قول ابن عباس (إذا كثرت السبئية بالكوفة استكفت أهلها) !

أقول : أين تطبيق منهج المحدثين هنا يا دكتور؟ ألا تعلم أن في إسناد الرواية عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي وأنه (متروك واتهم بالكذب) فقد قال فيه سفيان الثوري (كذاب) وقال وكيع : (كانوا يقولون إن عبد الوهاب لم يسمع من أبيه) وجزم بذلك ابن حبان -والرواية التي نقلها العودة من روايته عن أبيه- وقال الإمام أحمد بن حنبل (ليس بشيء..) وقال الدارقطني : (ليس بشيء) وقال الحاكم :

(روى أحاديث موضوعة) وقال النسائي : (ليس بثقة ولا يكتب حديثه) وقال ابن الجوزي : (أجمعوا على ترك حديثه) ! وضعفه بقية المحدثين مثل يحيى بن معين وأبو حاتم والجوزجاني وابن عدي وابن سعد والبخاري وأبو زرعة ويعقوب بن سفيان وابن المديني و لم يوثقه أحد فهو أخو سيف بن عمر في الكذب والوضع فكيف يزعم الدكتور أن هذه الرواية موثوقة؟!وكنت أتمنى من الدكتور العودة أن يطهر أدلته من هؤلاء الكذابين وأن يطبق المنهج الذي يستنكر على الهلابي عدم تطبيقه!.

النص الثاني :

ثم ذكر الدكتور العودة نصا آخر عن الشعبي وهو قوله : (لم أر قوما أحمق من هذه السبئية) !

وفي الإسناد مجالد بن سعيد الهمداني وهو قريب من سيف في الضعف (راجعوا ترجمته في التهذيب والميزان) .

فهذه النماذج التي نراها في كتابات الدكتور العودة تدل على الشح الكبير في الروايات القوية التي يثبت بها (وجود) عبد الله بن سبأ فضلاً عن (دوره في الفتنة) ! مما ألجأ الدكتور لأمثال سيف ومجالد وابن مجاهد!

الوقفة السادسة: خطورة إثبات دور ابن سبأ.

لعل أكثر القراء يظنون أن الخطورة تكمن في نفي دور عبد الله بن سبأ وليس في إثبات دوره، وأنا – من خلال قراءة لروايات سيف عن ابن سبأ – أرى أن خطورة إثبات دور ابن سبأ في الفتنة أخطر من نفي وجوده مطلقاً لأن معظم علماء السلف الذين كتبوا في التاريخ لم يذكروا عبد الله بن سبأ البتة مع كثرة الدواعي لذكر ذلك، فليسعنا ما وسعهم سواء كان ابن سبأ موجوداً أو غير موجود، لكن إهمالهم له دليل على أن بطلان ما نسبه إليه سيف بن عمر من قلبه الدولة الإسلامية واستخدامه البدريين وكبار التابعين، وحتى يقف القراء على حقيقة الأمر أسرد لهم النتائج التي تتمخض من إثبات دور ابن سبأ في الفتنة ومن أبرز تلك النتائج التي سيخرج بها موثقو سيف بن عمر ما يلي :

١ -عمار بن ياسر الصحابي المعروف هو عند سيف من الأيادي المنفذة والآذان المصغية لعبد الله بن سبأ! وأنه كان يكاتب عبد الله بن سبأ (الطبري ٤ / ٣٥٣ عن سيف) معنى هذا أن المؤامرة على عثمان اشترك فيها عبد الله بن سبأ (اليهودي) مع عمار بن ياسر (البدري) ! وأن الولاء والبراء ليس له وجود عند عمار بن ياسر الذي يتآمر مع يهودي ضد خليفة المسلمين!.

٢ -أبو ذر الغفاري يسيطر عليه عبد الله بن سبأ ويسلطه على معاوية (الطبري عن سيف) !.

٣ -عدي بن حاتم الصحابي – عند سيف – يتآمر مع مثل عبد الله بن سبأ ضد علي وعائشة يوم الجمل ويفسد الصلح وينشب القتال مع السبئية! انظروا الطبري (٤/٤٩٤ عن سيف) .

٤ -علي بن أبي طالب – عند سيف – من محبي هذا اليهودي عبد الله بن سبأ ولذلك ولاه على كتيبة من كتائبه يوم الجمل (الطبري ٤/٥٠٥ عن سيف) فعلي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع من محبي عند سيف بن عمر! وما دام أن هذا سيغضب الشيعة فلا بد أن نثبته! أليس الأمر مبارزة!

٥ -عمار بن ياسر – في رواية سيف – يعترف بأنه من قتلة عثمان! (الطبري ٤/٤٨٢ عن سيف) !

٦ -عمار بن ياسر – في رواية سيف – غبي أحمق لا يدري هل هو وال على المدائن أم على الكوفة (الطبري ٤/١٦٣ عن سيف)!.

٧ -الصحابي جندب بن زهير – عند سيف – شاهد زور (الطبري ٤/٢٧٣ عن سيف)!

٨ -الأنصار – عند سيف – يلزم أن يكونوا من أهل الردة (٣/٢٤٢عن سيف)!

٩ -أبو بكر الصديق – عند سيف – لا يقتص من عماله ولا أصحاب سلطانه! الطبري (٣/٢٧٨عن سيف) مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقاد من نفسه!

١٠ -علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص مذمومون – عند سيف – لكن على لسان عمر (٣/٢٥٩ عن سيف)!

١١ -خالد بن سعيد بن العاص الصحابي القديم لم يقاتل في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعهد الراشدين إلا لنيل الحظوة والشهرة! الطبري (٣ / ٣٩١ عن سيف)!

١٢ -عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص – عند سيف – أول من افسد أهل الكوفة (الطبري ٤/٢٥١ عن سيف) لأنهما تحارشا وتداعيا بدعوى الجاهلية وفسد أهل الكوفة من ذلك اليوم!

وهكذا تجد علي بن أبي طالب وأصحابه كعمار وجندب بن زهير وعدي بن حاتم وأمثالهم من أيادي عبد الله بن سبأ عند سيف بن عمر! فأين المتباكون على الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم؟! وأين نظريات الدكتور العودة بأن (من طعن أحد الصحابة فهو رافضي خبيث! متهم بالزندقة؟!) فهلا طبق هذه النظريات على سيف؟ أم أن هذه النظريات لا يجوز أن تطبق إلا على من يخطئ الظلمة من بني أمية فقط؟! أما علي فله شيعة تحميه ولا يهمنا أمره في شيء! ما هذه الازدواجية العجيبة! هجمة شرسة على الواقدي وأبي مخنف واتهامهم بالتشيع لوجود بعض المرويات التي هي أقل من هذه بكثير من هذا الباطل بينما هذا (الكذاب المتهم بالزندقة) الذي تصرح رواياته بمثل الفحش السابق يلقى كل حماية لأنه لا يطعن إلا في علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر؟! وفي ظني لو أن سيفاً طعن في معاوية لاهتدينا إلى أحكام أهل الحديث بسهولة وأثبتناها! لأن ردود الأفعال تطغى علينا ولا ننظر للأمر باعتدال ومن بحث وعلم حجة على من لم يعلم والأمر فيه طول لكن تكفي هذه النماذج و لم أشأ أن أستطرد في سرد بقية خزعبلات سيف بن عمر وتحريفه للأحاديث النبوية ووضعه لها وروايته الأساطير مثل خروج الجبال من البحار لتستريح عليها الفرسان من التعب! وأمثال هذا مما يعجب العوام ويطربهم.

وأخيراً : الكلام في الملحوظات على لقاء الدكتور أكثر من أن أحصرها في هذا المقال لكنني أطلب من الدكتور العودة وأطلب من نفسي ومن سائر المهتمين من محدثين ومؤرخين وغيرهم أن نحاول الرجوع إلى الحق حتى وإن كان فيه صعوبة على النفس لكنني من هذا المنبر أعلن أنني على استعداد للمحاورة أو المناظرة حول الأمور الجوهرية ومستعد للرجوع إلى الحق وإذا كان الدكتور العودة يرى أن هذا إعلان ليس له حقيقة فأنا أطلب من الدكتور العودة أن نتفق على أن يُعرض كتابي (نحو إنقاذ

التاريخ الإسلامي) وكتابه (عبد الله بن سبأ) على جهة علمية يختارها هو لتنظر أي الكتابين ملتـــزم بمنهج المحدثين؟! وأي الكتابين أقل تناقضا؟! وأقرب للنصوص الشرعية؟! فإن حكموا لكتابه فأعده أنني سأمنع كتابي من الأسواق البتة؟! وإن حكموا لكتابي فلا أطلب منه هذا ولا أطلب إلا تصحيح الأخطاء فقط! وهذا في ظني إنصاف مني لأنني تركت له تحديد الجهة العلمية وسأجعل له الرواية الضعيفة الـــتي عندي إن وجدت بعشر أمثالها مما عنده! والتزم بمنع كتابي إن حكم عليه ولن ألزمه إلا بتصحيح كتابـــه إن حكم لي فماذا يريد مني بعد هذا؟!.اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق إنك سميع مجيب الدعاء.

المقال الثالث [٥٠]

الأمر أخطر من عبد الله بن سبأ

في البداية أرجو ألا يظن القارئ أنني من خلال هذه المقالات أني أريد الرد على الدكتور العودة وإنما أريد مخاطبة القارئ من خلال هذا الحوار مع الدكتور العودة فأنا لم أتيقن حقيقة معنى الآية الكريمة : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ إلا بعد الحوار مع الدكتور العودة والهداية مستويات فهناك هداية إلى الإسلام فهذه لا أقصدها هنا وإنما أقصد الهداية للصواب أو الاتفاق على منهج أو (إمساك أول الخيط) كما يعبر بعض الأخوة فكل نقاط الالتقاء (وهي بداية الهداية) أعترف أني الآن على يأس أن ألتقي مع الدكتور العودة في واحدة منها لأنه يخرج عن الموضوع كثيراً ويرفض كل التنازلات التي قدمتها في سبيل الوصول إلى الحقيقة أو الاتفاق على تحديد الموضوع فقد أجاد في تشتيت الموضوع وهذا التشتيت أسلوب متبع عند كثير من الأخوة الذين يشعرون أن الأدلة (تحاصرهم) على حد تعبير الدكتور! وأنا حقيقة محتار بين أن أعذر هؤلاء الأخوة كالدكتور العودة وغيره ممن اختلفت معهم وبين أن أخشن لهم القول فكان يتجاذبني (العذر الجميل والعتب الشديد) فاخترت الاعذار مني لهم لأنهم كانوا (ضحية منهج) ولم يكن لهم دور في اختيار هذا المنهج ولا اختار تعلمه وهذا المنهج قديم من أيام الصراعات بين المذاهب الإسلامية عقدية كانت أو فقهية أو حديثية فهذا المنهج هو الذي لقن لهؤلاء الأخوة هذه السمات السلبية كالتعصب والتشنج في الطرح والهجوم على صاحب الفكرة واتباع الظنون واتهام النيات وعدم فهم الكلام واستحلال بتر النصوص وتحريف الأقوال واستثارة العواطف والميل الشديد إلى تبديع الآخرين وتكفيرهم وإظهارهم بمظهر (المتآمر) إلى آخر هذا العقد التدميري!.

إذن فالخطأ ليس خطأ هؤلاء الأخوة بقدر ما هو خطأ في المنهج السائد عند كثير من المسلمين منذ القرون الأولى إلى اليوم فكيف نطلب منهم التخلص من أمر يرونه ديناً ويحتسبون الأجر عليه (ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ! فهذه الأمور تجعلني أعذر هؤلاء في لغتهم وتشنجهم وخروجهم عن الموضوع

---

[٥٠] هذه المقالات نشر منها ثلاث مقالات في صحيفة البلاد ثم توقفوا عن النشر بعد تلقيهم اتصالاً من وزارة الإعلام الذين تلقوا اتصالاً من الفوزان الذي تلقى اتصالاً من الدكتور العودة ! فانظروا كيف تسير الأمور بهذه التدوير!

وتبنيهم منحى التكفير والتبديع لكن إن أقنعت نفسي بأعذارهم جاءني ما يعكر عليَّ هذا (الإعذار) إذ كيف نعذرهم في الاستمرار على هذه الأخطاء وكتاب الله بين أيديهم يأمرهم بالعدل والصدق والأمانة وينهاهم عن بعض الظن والكذب والحسد والحقد..الخ، كيف أعذرهم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة بين أيديهم تنهاهم عن الغش وقول الزور والظلم وتأمرهم بالعدل والصدق والأمانة أيضاً؟! فهم لا يعيشون في جزر (واق الواق) حتى نعتبرهم جاهلين للأحكام الشرعية الواضحة بل إن هذه العيوب والذنوب السابقة يدرك خطأها كثير من الكفار بلا قرآن ولا سنة، بينما أصحابنا يعكسون القضية فيكونون قد أساءوا إلى الدين إساءة بالغة – بحسن نية – لا يستطيع أن يفعلها أعداء الإسلام وخصومه بسوء نية! وهذا من أسباب ما نحن فيه من هوان، لأن الأقوال منشورة أما الأفعال فلا تعليق، وهذا أيضاً من أسباب سمعة المسلمين السيئة التي حالت دون دخول كثير من الكفار في الدين الإسلامي، فهم – أي الكفار – يرون المسلمين يستحلون الغش والكذب والخداع وقول الزور مع قلة حياء ومأساة أخلاق فيربطون بين (مهازل) المسلمين و (نظريات الإسلام) ويتعجبون من التباين الكبير بين هذين المحورين وهذا أمر مؤسف حقاً.

إذن فقد كان يتجاذبني إعذار هؤلاء من جهة وعتابهم من جهة أخرى فأنا أعذرهم لأنهم (نتيجة طبيعية) لمنهج فيه عيوب لا زلنا نستحي من إصلاحها ولا زلنا نلزقها بالدين ظلماً وزوراً.

وأنا أعتب عليهم من ناحية أخرى بسبب توفر كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بين أيديهم ويستطيعون معرفة الحق بلا تقليد كما أعتب عليهم في تقديمهم لآراء الرجال على نصوص الكتاب والسنة فتجد بعضهم ينقل قول فلان وفلان من العلماء بينما يخلو مقاله من نقل أقوال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن نتحاكم إلى آراء الرجال وتركنا التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بل إن أحدهم يستطيع تأويل آية أو رد حديث شريف لكنه يتورع عن نقد قول لعالم من العلماء وهذا الخلل المنهجي أدى إلى ذبول النصوص الشرعية عندنا مقابل إحياء أقوال الرجال والتمسك بها، وأنا أتعجب من قول ابن عباس عندما كان يذكر الأحاديث النبوية في بعض أحكام الفقه فاعترض عليه بعضهم بأن هذا لم يفتِ به أبو بكر ولا عمر! فغضب ابن عباس غضباً شديداً وقال (تكاد تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتقولون قال أبو بكر وعمر)؟! فانظر رحمك الله كيف يغضب ابن عباس عندما نعارض كلام الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم بفتاوى أبي بكر وعمر! فكيف إن عارضنا أقوال النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم بأقوال من هو أقل منهما من بعض العلماء المتأخرين الذين جهلوا الدليل أو فهموه فهماً سقيماً؟! أو كان كلامهم عاماً لا يفيد في موطن النـزاع.

فنحن بحاجة إلى عودة صحيحة إلى التعبد بالنصوص تعبداً نلغي معه كل ما يعارضها من اجتـهادات مرجوحة وأقوال عامة وما أشبه ذلك.

وبعد هذه المقدمة التي أراها ضرورية أعود وأقول للدكتور سليمان العودة -ولي معه قصة في هـذه الحوارات وأسبابها- وسأسرد لكم القصة بعد قليل لكنني في البداية أؤكد أن هذه المقالات هي حوار مع القارئ أكثر منها رداً على الدكتور العودة ، صحيح أنني سأتناول بعض ما طرحه الدكتور العودة وأرد عليه ليس من أجل أن ينتفع به الدكتور فأنا يائس منه كما تقدم ولكن ليتعلم القارئ كثيراً من (العيوب الحوارية) عند كثير منا لنتعلم في المستقبل كيف نفهم كلام الآخرين ونؤيد الحق ولا نشارك في الظلم.

وأنا في البداية أؤكد للقارئ بأنني جزء من هذا المجتمع وستلحقني قطعاً بعـض العيـوب الحواريـة الموجودة لكنني أحاول من وقت لآخر أن أراجع بعض العيوب وأحاول التخلص منـها وفي ظـني أن الاعتراف بالخطأ ثم محاولة تجنب الخطأ خير من عدم الاعتراف بالخطأ أصلاً، مع أن الواجب على المسلم أن يتهم نفسه وألا يزكيها وقد علمنا الله عز وجل فقال : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ وقـد ذكـر بعـض التابعين أنه وجد ثلاثين من الصحابة كلهم يخشى على نفسه من النفاق بينما نحن قد نستكبر إن أرشدنا ناصحٌ على خطأ أو وهم وقعنا فيه أو إخلاف وعد وعدنا به! أو كذب متعمد! أو فجور في المخاصمة! أو خيانة علمية! وهذه الخصال الأربع الأخيرة كلها خصال النفاق العملية وقد أصبحت اليوم هي الأصل في أغلب الحوارات التي تدور بين المسلمين وأصبح الشاذ هو من يتجنبها! لأننا لا نقبل النقد وإنما نحمل مبالغة في (تبرئة النفس) لم تكن موجودة في كبار الصحابة وهذا مرض منتشر بين طلبة العلم الشرعي ربما أكثر من غيرهم فكم من قول محرف يتناقلونه وكم غيبة يستحلونها وكم كذبة ينشرها للآفاق وكم وكم...وأنا قد يؤاخذني بعض الأخوة أنني أركز على (طلبة العلم الشرعي) دون غيرهم وهذا مـني مقصود لذاته وعلى قدر المحبة تكون شدة العتاب وإذا لم يصلحوا أنفسهم فلن يستطيعوا إصلاح غيرهم

ولأنه يقبح بطالب العلم – إن صدق في زعمه أنه طالب علم – أن ينقد في الناس الأمور الشكلية أو نقد صغائر الذنوب وينسى الكبائر المتوسدة بين جنبيه! فهذه غفلة عظيمة يزينها الشيطان للمبتلين بهذه الذنوب ويصور لهم أنهم مأجورون عليها وبالتالي (لا يعترفون) بتلك الذنوب وبالتالي يكون الشيطان قد نجح في قطع طريق التوبة على هؤلاء لأن (الاعتراف) بالذنب أول شروط التوبة، وكثير من أمراضنا العلمية والبحثية تنبع من (عدم الاعتراف) سواءً الاعتراف بالقصور في البحث أو الاعتراف بالهوى أو الاعتراف بغلبة العاطفة وردود الأفعال.

على أية حال : كنت أرى أن مثل هذه المقدمة ضرورية وهي عندي أهم من كل المسائل التاريخية التي اختلفنا فيها لأن الاختلاف في التاريخ أمره سهل إذا قورن بالذنوب الأخرى التي نرتكبها ولا نشعر أننا نأثم بها بل نظن أننا مأجورون على ذلك ونسأل الله ألا يجعلنا من: ﴿الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ !.

وأود في البداية ألا يظن القارئ أني أوجه هذه المحاسبة لفرد أو أفراد بل أوجهها لنفسي أولاً وللقراء ثانياً وللأخ الدكتور العودة ثالثاً وكلنا بحاجة إلى (تربية الضمير) و (محاسبة النفس) قبل الحوار وأنا لن أجاري الدكتور العودة في ما سطره من اتهامات شخصيته في مقاله الأخير في صحيفة (المسلمون) لأنني على يقين أن الدكتور لا يعتقد صحة ما يقول وإنما هذا من تحريش الشيطان بين المسلمين، كما لن أجاريه فيما سبق إيماناً مني أيضاً بأن المجاراة في الاتهامات والطعن في النيات (خروج عن الموضوع الأساسي) والخروج من الموضوع الأساسي من عيوب الحوار التي قد يجرني إليها الدكتور وقد ينجح لأن معظم رده كان خارج الموضوع وقد يكون بهذا بقصد منه حتى ينجو سيف بن عمر وقد يكون بغير قصد لكن رفضه للمناظرة معي دليل على أن إخراج الموضوع من إطاره أمر مقصود.

وهو في مقالاته في (المسلمون) واضح جداً أنه يتهمني بالاتفاق مع المستشرقين أو الشيعة أو غيرهم –وقد سبق الجواب على هذا في مقالات سابقة– وهذا جزء من سلبيات المنهج كما تقدم إلا أنني أريد حسم هذه المسألة حتى أشارك في إصلاح الحوار أقول للدكتور سليمان : افترض أن هذا المالكي فيه كل ما تظن وأكثر فهذا الافتراض لا يعفيك من مناقشة القضية (تاريخياً) بمعنى لو كنتُ مستشرقاً وأعددت بحثاً في التاريخ فإنه من العيب العلمي أن نتعامل مع هذا البحث من خلال نظرتنا لمصدر هذا البحث

فقط وإنما نتعامل مع البحث باختباره ووضعه على محك التجربة ثم بعد أن نناقش الأمر (تاريخياً) ويمكن بعد ذلك أن يشار إلى عقيدة أو دين هذا المؤلف ومدى علاقته بالأخطاء التي وقع فيها أما أن يكون جل كلامنا عن المصدر فهذا من عيوب الحوار التي لن تنفعنا في الحوار مع الكفار ولا مع المسلمين لأننا إن لم نستفد منها في التحاور فيما بيننا؛ بمعنى إذا المسلم منا لا يستطع أن يحاور أخاه المسلم فهو أحرى ألا يستطيع أن يتحاور مع الكافر، لأن نقاط الالتقاء في الحالة الأولى أكثر لكنها لم توظف التوظيف الصحيح، بل كانت طريقة الحوار ضد توظيف هذه النقاط ثم الحوار مع الكفار والمبتدعة أمر قادم لا محالة منه ونحن مطالبون بتعلم منهج (إقناع الآخرين) وهذا المنهج لا بد أن يكون من أولوياته (التركيز على الأفكار) وليس على الأشخاص لأن التركيز على الشخص أصبح معيباً عالمياً ويشتت الموضوع ويخرجه من سياقه ويكون دلالة على ضعف الحوار.

نحن والتضحية!

وأستغل هذه الفرصة وأقول للقارئ سواءً كان مهتماً بالتاريخ أو مؤلفاً أو مؤرخاً يجب عليك – أخي – ألا تنظر لاتهامات الآخرين لك، فهم لا يملكون موتاً ولا حياة ولا يملكون جنة ولا ناراً وليس بالضرورة أن ترضي الناس كلهم فهذا صعب بل إن الأكثرية غالباً تكون على باطل ولذلك نجد أن الله عز وجل يذم الكثرة: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾، ﴿أكثرهم للحق كارهون﴾، ﴿أكثرهم يجهلون﴾، ﴿إن يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾، وقد قال ابن مسعود (الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك) فالجماعة لا تعني جماعة الغوغاء إنما جماعة العقلاء فأنت يجب عليك أن لا تخشى أن يقول الناس: فلان منهجه كذا أو نيته سيئة أو عقيدته كذا أو متهم في العقيدة أو يخالف الإجماع فهذه الأقوال كلها لا عليك منها فإذا كان الله راضياً عنك فليس الواجب أن يَبْحث المسلم عن رضا الناس إنما يبحث عن رضا الله، فإذا قصدت – أخي المسلم – وجه الله بأعمالك فأنت إن شاء الله إلى خير، صحيح أنك قد تتضايق في البداية عندما تتنكر لك بعض الوجوه التي كنت تعرفها، وينقبض عنك بعض الأصدقاء، فهذا أمر طبيعي لكنك لستَ أفضل من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد انقبض عنه أقرب الناس إليه كعمه أبي لهب وتفرق عنه بعض أصدقائه وارتد بعض أصحابه في حياته وبعد مماته، واتهمه الناس بالسحر والجنون

مثلما الناس اليوم قد يتهمون صاحب الحق بالبدعة والاستشراق فالحق لا بد له من تضحية، ولو سلم أحد من الأذى لسلم الأنبياء والمرسلين ولو نظرتَ للتاريخ لوجدت أنه ما من صاحب حق إلا ابتلاه الله بأعداء يرمونه بما لا يليق ويصمونه بما هو منه بريء وهذا ثمن كلمة الحق! ليعلم الله الصادقين الذين يبحثون عن الحقيقة ويعلم الذين يبحثون عن السلامة مع ثناء الدهماء من الناس ورضاهم! بل إن تنكر البعض وتغيرهم في التعامل معك أمر ينبغي أن تشكر الله عليه لأن هؤلاء (المتلونين) مع الرياح لا ينبغي أن يؤخروك عن مشاريعك العلمية ولستَ مسئولاً عن إرضائهم وكلما تخلصت منهم كلما استطعت أن تفكر بمنهجية أكثر بعيداً عن الإحراجات التي لا تخدم العلم ولا الحقيقة وسيعوضك الله بدلاً منهم بمن يقدر هذه المنهجية فلا عليك إذن من تلون بعض الناس فتركهم أولى (ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه) .

إذن فنصيحتي لأخي القارئ إن كان يريد الحق ويبحث عنه، فعليه أن يكون واضحاً ما أمكن، ولا يخشى في الله لومة لائم، ولا يجوز له أن يحمي سمعته في مقابل التضحية بما علمه الله من حق، بل العكس هو المطلوب، ولو حمى الأنبياء سمعتهم لضحوا بالرسالات من أجل السمعة، ولو حمى الصالحون سمعتهم لما دعوا إلى الحق ولا أنكروا باطلاً، فالسمعة سمعتان؛ سمعة عند الله، وسمعة عند الناس، وأنت مخير بين هذه وتلك، فإذا اخترت السمعة عند الله؛ فسينصرك الله، ويقلب ذم الناس لك مدحاً، ولو بعد زمن، وإذا رضيت بالثانية، قد ينقلب عليك المدح في المستقبل إلى ذم، لأن الله هو مسير الأمور، وهو الذي بيده الأمر كله، وليس بيد الناس الضعفاء، ثم إن سكوتك عن الحق وسكوت الآخر والثالث والرابع يترك مجالاً لازدهار الباطل وتسيده، وأنت بهذه السلبية مشارك في الباطل شئت أم أبيت! فلابد أن يتمعر وجه المصلح في الله.

إذن فعليك أخي القارئ أن تحدد موقفك من البداية، فإذا كنت ستهتز لأول اتهام لك فأرح نفسك من الآن وأصلح قلبك وعزمك قبل أن تواجه الجحافل! وإن شعرت أنك لا تبالي إلا برضا الله فقط فأعلن مواقفك العلمية سواءً كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو غيرها، وثق بأن الله عز وجل قد تكفل بنصرة الحق وأهله ولو بعد حين، ولا تستعجل في هذه النصرة فقد لا تأتي إلا بعد موتك فلا عليك لأن هذه الدنيا لا تساوي شيئاً قياساً بالآخرة وقياساً بالحق الذي تتبناه وتدعو إليه.

المقال الرابع

الصحابة ليسوا مغفلين !!

إثبات الدور الكبير لعبد الله بن سبأ في الفتنة يلزم منه اتهام صحابة ذلك الوقت بالغفلة الشديدة والسذاجة البالغة، وسيأتي شرح هذه القضية وسيأتي أيضاً ما يدل على أن أسباب الفتنة ليس كما يصوره المؤرخ الكذاب سيف بن عمر التميمي الذي انفرد بذكر أخبار عبد الله بن سبأ (في الفتنة) وتبعه على ذلك كثير من أصحاب الدراسات الجامعية عندنا بحسن نية أو بسوئها، ولم ينتبهوا إلى أن إثباتهم لدور ابن سبأ المزعوم إضافة لعدم علميته ففيه طعن كبير في الصحابة، بينما نفي دور ابن سبأ في الفتنة وإثبات الأسباب الحقيقية لها يعطينا الحقيقة ولا يحمل هذا الطعن، إضافةً إلى أن معرفة الأسباب الحقيقية هي التي نستفيد منها في دراسة التاريخ الإسلامي دراسة جادة بعيدة عن العواطف غير العلمية وردود الأفعال غير المسئولة، ولكن بما أن الحوار مع أخي الدكتور العودة فإنه يحسن بي في هذا المقام أن أسرد لأخي القارئ قصة هذه الحوارات والاختلافات وإن أخطأت فيستطيع الدكتور أن يصحح لي ذلك.

قصتي مع عبد الله بن سبأ وسليمان العودة!

أما قصة هذه الحوارات مع الأخ الدكتور العودة فخلاصتها أن الدكتور قد اتخذ مني موقفاً من يوم نقدت رسالته للماجستير المسماة (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، وكان قد نال بها شهادة الماجستير بتقدير (ممتاز) ! عام ١٤٠٢هـ فنقدتها ضمن رسائل أخرى في مقالات نشرتها بصحيفة الرياض تحت عنوان (كيف يضحك علينا هؤلاء؟!)، واقتصرت في نقدي على موضوع واحد من موضوعات الرسالة وهو (بيعة علي بن أبي طالب)؛ تلك البيعة التي لقيت تشويهات من كثير من أصحاب الدراسات الجامعية! إما متابعة منهم للرواة النواصب كسيف بن عمر، أو إمعاناً في العاطفة، أو ردة فعل لطعن الشيعة في بيعة الخلفاء الثلاثة وهذا من باب رد الخطأ بالخطأ! مع أن هذا الطريق لا

يجوز أن نسير فيه فنحن أولى بعلي وأهل البيت من الشيعة وكنت قد اتخذت هذا الموضوع (موضوع بيعة علي) نموذجاً أقيس عليه مدى التزام ما اطلعت عليه من الدراسات الجامعية التي تحدثت عن الموضوع ومعظم تلك الرسائل كانت داخل المملكة، ولما جئت يومها لرسالة الدكتور العودة أثنيت على ما يظهر من حسن نيته لكنني نقدت الرسالة (وهي مطبوعة) لأنها كانت (بلا منهج والتناقضات فيها أكثر تحصر) ولأن الرسالة كلها تقريباً كانت مبنية على راوٍ كذاب زنديق وهو (سيف بن عمر التميمي) فإنه الراوي الوحيد الذي تفرد بذكر أخبار عبد الله بن سبأ (في الفتنة) مع أن الدكتور العودة وعدنا بأنه سيتجنب (الرواة الكذابين) ! وسيطبق (منهج) أهل الجرح والتعديل!

وأنا حقيقة عند النقد قد أكون قاسي اللهجة على الفكرة الخاطئة وليس على الشخص وقد يتضمن نقد الفكرة نقداً للشخص بطريقة غير مباشرة، ثم بعد تلك المقالات نسيت الموضوع لكن يظهر أن الدكتور العودة لم ينسه! –وكيف يستطيع!- ثم طبعت تلك المقالات كلها في كتاب الرياض بعنوان (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) فأرسلت نسخاً من الكتاب هدايا لبعض المهتمين بالتاريخ وكان منهم الأخ العودة وطلبت منه إبداء الملحوظات على الكتاب كسائر من أهدي لهم.

ففوجئت بالدكتور العودة ينشر - بتحريض من الدكتور الهويمل! - رداً من أربعة أجزاء في صحيفة الرياض و لم يكن الرد على ما نقدت رسالته حول أخطائها في (بيعة علي بن أبي طالب) وإنما كان رداً عليَّ في موضوع لم أتفوه به! ألا وهو نفي وجود عبد الله بن سبأ! فألزمني بأنني أنفي وجوده لأنني أثنيت على الدكتور عبد العزيز الهلابي (وله دراسة ينفي فيها عبد الله بن سبأ ويعتبره شخصية وهمية ليس لها وجود) ! وليس الهلابي وحده الذي يرى هذا الرأي بل معه كوكبة من العلماء الباحثين قديماً وحديثاً وهؤلاء الذين مع الدكتور الهلابي هم ينفون وجود ابن سبأ أو ينفون –على الأقل- الدور الكبير الذي صوره له سيف بن عمر، فالظاهر أن الدكتور العودة رأى أن يرد عليَّ بدلاً من الهلابي أخذاً بـ (الثأر)! من نقدي السابق لرسالته! رغم أن نقدي لرسالته كان هادئاً لدرجة كبيرة والغريب أن الحوارات يومها كانت عن القعقاع بن عمرو وليس عن ابن سبأ وكنت يومها قد نفيت وجود القعقاع بن عمرو وقد يكون الدكتور العودة خلط بين عبد الله بن سبأ والقعقاع بن عمرو وظنَّ أنهما شخصية واحدة وهذا ليس بمستغرب لأنه قد جمع أشخاصاً كثيرين واعتبر أنهم كلهم هم عبد الله بن سبأ! فابن

السوداء عنده هو ابن سبأ، وكذلك ابن سبأ هو وعبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن حرب وغيرهم فلا يستبعد أن يظن أن القعقاع بن عمرو هو عبد الله بن سبأ أيضاً! فرأى مقالاتي في نفي القعقاع وظن أنها في نفي عبد الله بن سبأ! فإن صدق ظني - وأرجو أن يكون ظني خاطئاً — فقد خلط بين الشخصيتين، لذا أحب تصحيح المعلومات للدكتور فالقعقاع غير ابن سبأ فالأول يزعم سيف بن عمر أنه تميمي أما الثاني فيزعم سيف أيضاً أنه سبئي من اليمن صحيح أن الاثنين يتفقان في كون كل واحد منهما يتكون اسمه من سبعة حروف! لكن اتفاق أسماء الأشخاص في عدد الحروف لا يعني بالضرورة أن الشخصيات واحدة!

بل حتى لو اتفقت الأسماء فلا يدل على اتفاق الشخصيات أحياناً فضلاً عن اتفاق الاثنين في بعض الحروف فكون حرف العين موجود في القعقاع وعبد الله بن سبأ لا يعني أن الشخصيتين يجتمعان في شخصية واحدة مثلما أن اتفاق اسمي مع الدكتور في حرفي السين والنون لا يعني أننا شخصية واحدة فلزم التنبيه!!

وليعذرني القراء إن وضحت هذا الواضح لكن الدكتور العودة - وفقه الله وسدد خطاه - من عادته أن يخلط بين الشخصيات ويعتبرها شخصية واحدة ما دام أنها تتفق في بعض الأسماء أو الحروف وأظن أنكم ستدركون الصعوبة الكبيرة في الحوار مع دكتور كهذا ما دام أنه بهذا (التصميم) على الخلط واتهام من لا يتفق معه في هذا الخلط بأنه متآمر مع الشيعة والمستشرقين!.

أما رأيي الذي أعلنته في كتاب الرياض وفي مقالات أخرى في عبد الله بن سبأ فهو أنني أنفي دوره في الفتنة وهذا يوافقني عليه كثير من الدراسات الجامعية نفسها التي يثني عليها العودة وأقصد بدور ابن سبأ ما سطره سيف بن عمر عنه بأنه تنقل في الولايات والبلدان وحرض الناس ضد الولاة وضد عثمان وقاد الحملات وأنه السبب في مقتل عثمان وفي كل الحروب والفتن التي جرت فهذا كله من أكاذيب سيف بن عمر لأن هذا يخالف كل الروايات الصحيحة ولأن الصحابة ليسوا بهذا الغباء والحماقة لدرجة أن يأتي يهودي نكرة ويجعل بعضهم يموج في بعض من الدماء، بل هذا قد يعده البعض طعناً في نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان الجيل الذي أخرجه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الغفلة والسذاجة لدرجة أنهم يتحولون من ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إلى أدوات في يد يهودي نكرة

يغرر بهم ويسلط بعضهم على بعض! فهذا الجيل الذي يسيره يهودي يكون عند البعض جيلاً فاشلاً[٥١]! ولعل هذا ما أراد أن يثبته سيف بن عمر فيكون من أسباب اتهامه بالزندقة! وهذا يخالف ما أجمع عليه المحدثون والمؤرخون قبل سيف وفي عصره وبعده فإنهم وإن اختلفوا في بعض أسباب الفتنة لكنهم مجمعون على أن عبد الله بن سبأ ليس من تلك الأسباب والدليل على ذلك أنه لم يذكره أحد منهم بحرف عند كلامهم (في الفتنة) اللهم إلا من جاء بعد سيف بن عمر ناقلاً عن سيف بن عمر أيضاً.

فسيف هو المصدر الوحيد لهذه (المؤآمرة المزعومة).

وقد أتهمه المحدثون بالزندقة فاتهمه ابن نمير وابن حبان والحاكم بذلك وكذبوه وذكروا أنه يكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكذب في التاريخ أيضاً وقد اعتذر عنه الدكتور العودة وغيره بأنه إذا كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يلزم منه أن يكذب في التاريخ! لكننا نقول:

- أولاً ثبت كذبه في التاريخ.

- ثم إن من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلن يتورع أن يكذب على غيره! فهذا من باب الأولى.

المناظرة لماذا رفضها العودة؟

لكن الدكتور العودة - جزاه الله خيراً - لا زال (مصمماً) على الأمر الأول جرياً على المثل (عنزة ولو طارت)! فطلبته للمناظرة أكثر من مرة وقدمت له تنازلات كبيرة لدرجة أنني رضيت أن يحكم بيننا قسم التاريخ في الكلية التي يتولى عمادتها الدكتور العودة! والتزمت له بأن يجعل الرواية الضعيفة التي يجدها عندي في كتابي (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) - إن وجدت - بعشر مما ذكره في كتابه! والتزمت له بمنع كتابي من الأسواق إن حُكم عليه بينما لم ألزمه بمنع كتابه من الأسواق إن حُكم

---

[٥١] وهذا الالزام يلزمون به الشيعة الامامية، أعني يلزمهم بعض السنة الطعن في النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه في نظرهم إن كان أصحابه أصحاب سوء، فهو رجل سوء، لكن هذه الالزامات لا تلزم، لأن كثيراً من أصحاب الأنبياء —كأصحاب موسى- عبدوا العجل بعد إيمانهم بنبوة موسى وبعد اجتياز البحر ومع ذلك يبقى لموسى عليه السلام المنزلة الرفيعة بين الأنبياء.

عليه! وإنما ألزمه بتصحيح الأخطاء فقط ومع كل هذه التنازلات الكبيرة مني والتي تشبه التنـــازلات في (صلح الحديبية) ! إلا أن الدكتور العودة لم يقبل ذلك! وأظن أن بعضكم يعرف لماذا لم يقبل الـــدكتور المناظرة؟! لأنه يعرف أدلته تماماً ويعرف أن رسالته قائمة على سيف الكذاب المتهم بالزندقة ويعرف أنه يحيل على مصادر ناقلة عن سيف ولا يخبر القراء بذلك!ويعرف أن المنهج الذي نادى به في المقدمـــة لم يطبقه على كل مرويات الكتاب البالغة أكثر من (٤٥٠) رواية! كل هذا كان يعرفه الدكتور! وكنت أعرف أنه يعرف هذا؟! ولذلك أرجو ألا يستغرب القارئ تنازلاتي الكبيرة في سبيل حصـــول المنـــاظرة لأنني أعرف ماذا أقول! ولست متهوراً في هذه التنازلات كما يظن بعض الأخوة! ويكفي مـــن هـــذه التنازلات أنها أوضحت للقراء ملامح النتائج قبل حصول المناظرة؟! وأنها عرَّفت القراء علـــى الوضـــع (الجيد!) لبعض الرسائل الجامعية عندنا! وأنا أظن أن الدكتور العودة كان ذكياً في تجنبه المنـــاظرة لأن أصحاب البيت أعلم بما فيه! وبمدى توفر سبل الحماية له! فلذلك أنا أعذر الدكتور العودة على رفضـــه المناظره واكتفائه بالاستعداء عن بعد! لكن لا أعذره في دخوله الحوار لأنه إذا كان يعرف أن هذا (هو وضعه) هو ورسالته وأنه لن يعترف بهذه الأخطاء الكبيرة فكان من الخطأ أن يدخل في الحوار أصـــلاً! فلو لم يدخل في الحوار من البداية لكان أستر له ولرسالته ولسيف بن عمر من وضوح الحقائق على الملأ! ولعله الآن قد عرف أن الدكتور حسن الهويمل عندما حثه على الدخول في الحوار حول هذه المسائل أن الهويمل لم يكن ليريد له خيراً!

على أية حال : هذه قصة الحوار الأولى بيني وبين الدكتور العودة فإنه بعد أن نشر أربع حلقات في صحيفة الرياض رددت عليه هناك في حلقة واحدة مطولة ثم أجرت معه صحيفة المسلمون لقاءً (حـــذر فيه) ! من اطروحاتي أنا والدكتور الهلابي! وحاول أن يربطها بأطروحات المستشرقين والمبتدعة! وهـــذا ليس بمستغرب منه لأن هذه العادة في الحوار – كما قلت سابقاً – هي الأصل عند كثير مـــن دارســـي التاريخ اليوم، تقليداً منهم لغلاة العقائديين فإنهم عندما تعوزهم الحجة والدليل يلجأون إلى اتهام نيـــات المخالفين لهم واتهام عقائدهم ومناهجهم...الخ فهذا الطريق عندهم يبدو أنه أسهل طريق للـــدفاع عـــن الذات! مع ما يحققه لهم هذا الأسلوب من مديح وإطراء من المعجبين بهم من بعض التلاميـــذ وبعـــض الزملاء الذين يضفون عليهم ألقاب الثناء العطر! لأنه في سكرة هذا الثناء لا يشعر المؤرخ بأخطائـــه وإن

شعر بها فهو غير مستعد للتفريط في هذا (الجمهور العظيم!) الذي قد لا يزيد على الستة أو العشـــرة! ويرى أن هؤلاء وحدهم هم (شهود الله في أرضه) ! وأن ثناءهم حجة لا تقبل الرد وإجماع لا يقبـــل النقض!

وحقيقة لما رأيت مقاله الأخير في جريدة (المسلمون) الذي كان عنوانه (أدعوه للمحاكمة أمام لجنة علمية) تنفست الصعداء وقلت الآن أنصفني الدكتور العودة فلما قرأت المقال فوجئت بأنه يقصد مـــن العنوان (محاكمتي أنا وحدي) ! أمام لجنة علمية – وقد يطلب أن يترأسها بنفسه – إتماماً للعدل! أمـــا رسالته القائمة على (راوٍ كذاب زنديق) فيظهر أنها عنده فوق مستوى النقد والمحاكمة! وأن الروايات الصحيحة التي نقلتها من البخاري ومسلم وأمثالهما فهي عنده خطر يجب أن تعرض على جهة تحاكمها! وهكذا فليكن الإنصاف والعدل وحب الحقيقة عند الدكتور العودة ! إذن فهذا جوابه الوحيـــد علـــى مطالبتي له بالمناظرة! وهو جواب ينطق بالنتيجة المتوقعة!!.

لكن الأغرب من هذا أن تسير الأمور عندنا وفي كثير من أبحاثنا بهذه الطريقة السهلة،

فلا قوة بحث،

ولا نقد منصف،

ولا تصحيح نية،

ولا عدل مع الخصوم،

ولا حسن فهم لكلام الخصوم،

ولا أمانة في نقل هذا الكلام،

ولا حياء من تكرار الأكاذيب،

ولا منهجية واضحة،

ولا وضوح في الطرح،

ولا شجاعة في المناظرة،

ولا أسلحة شريفة في الخصومة،

ولا نظر في أمانة الكلمة ومسئوليتها..الخ السلبيات التي تدمي القلوب وتراكم الأحزان والحسرات.

فهذه هي مأساتنا (التاريخية) وهي جزء من مآسي المسلمين (العامة) الذين انتشرت بينهم هـــذه الأمراض على مستويات شتى وليس هذا المحزن فقط إنما المحزن هو عدم الاعتراف بهذه السلبيات وبالتالي عدم العمل على علاجها.

المقال الخامس:

طغيان نظرية المؤآمرة!

الدكتور العودة تطغى على كتاباته ورسالته (نظرية المؤآمرة)[٥٢] فهو يرى أن اتفاقي في نتيجة أو أكثر مع الدكتور الهلابي أو مع مرتضى العسكري أو مع طه حسين أو مع مستشرق (تآمر) منا كلنا على التاريخ الإسلامي! ولعله يقصد تآمر على أكاذيب سيف بن عمر! ونسي الدكتور أنني نقدت كتاب الدكتور طه حسين في (كتاب الرياض) مع أن ما كتبه طه حسين عن عبد الله بن سبأ في أسطر أفضل وأدق وأقوى مما كتبه الدكتور العودة في رسالته برمتها، وهذه حقيقة قد يغضب منها الدكتور العودة وقد يفسر هذا بأنه ميل مع المستغربين والمشبوهين! وهضم لحقوق الآخرين! وهذا تبسيط لأمور معقدة لأن الحقيقة التاريخية ليس لها قرابة ولا مذهب إضافة إلى أن بعض أبناء هذا الوطن ينفون عبد الله بن سبأ أيضاً!.

أعود فأقول : إن هذه النظرية – أقصد نظرية المؤآمرة – ربما استقاها العودة من روايات سيف بن عمر! لأن سيف بن عمر زعم أن كل مصائبنا من القرن الأول إلى اليوم كان بسبب مؤامرة من فرد يهودي وهذا يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهذان المصدران قد بيّنا أسباب الفتن كالهوى والمال والتعصب والمعاصي وليس فيهما ما يدل على أن فرداً سيكون سبب شقاء الأمة الإسلامية بل هناك نصوص في الحجاج ويزيد والمختار وغيرهم ممن هم أقل خطراً مما يصوره سيف عن ابن سبأ، وهذه النظرية نظرية المؤآمرة عذر مناسب عند بعضهم في استغفال السذج والهروب من الواقع السيئ ومن الأسباب الحقيقية، لكن هذا العذر المناسب ليس مرغوباً لا شرعاً ولا عقلاً، أما شرعاً فلقوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

---

[٥٢] أنا لا أنفي وجود مؤامرات قديماً وحديثاً، لكن ليس بالمبالغة التي يطرحها بعض الغلاة حتى يشكون في بعضهم حتى يتهم بعضهم بعضاً ويحارب بعضهم بعضاً.

وأما عقلاً فمن المعلوم أنه لا يستطيع فرد واحد أن يغير أمة ويلاطم بين جيل كامل ويقلب دولة ويقيم أخرى! وهذا ما ذكره سيف عن ابن سبأ، صحيح أن سيف بن عمر وسليمان العودة يقرون أن عبد الله بن سبأ لم يكن وحده وإنما عاونه كبار البدريين كعمار بن ياسر وأبي ذر وأمثالهم من خيار الصحابة والتابعين! لكن هذا الاعتذار أقبح فكيف يستطيع يهودي أن يوظف كبار تلاميذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خدمته! أليس معهم قرآن يهتدون به؟ أليس معهم عقول؟! فهذا دليل قوي على زندقة سيف بن عمر الذي يطعن في أمثال عمار بن ياسر ويدافع عن أمثال الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم؟!

وقد تبعه -أي تبع سيفاً- بعض دارسي التاريخ عن جهل وحسن نية أو سوئها ومن أولئك الدكتور العودة وفي رأيي أن الذي يدمن على قراءة مرويات سيف بن عمر ولا يتنور بالروايات الصحيحة لا بد أن يتأثر بنظرية المؤآمرة ويظن أن المؤآمرة هي الأصل في علاقاتنا! وبغض النظر عن التاريخ فإن نظرية المؤآمرة لها أكبر الفتك في جسد الأمة الإسلامية ولذلك وبسبب المبالغة في (نظرية المؤآمرة) نجد بعض (التكفيريين من الغلاة) في هذه الأيام لا يثقون إلا في أنفسهم ويعتبرون الآخرين كلهم عملاء متآمرين مع اليهود والنصارى! وهم قد يقولون إذا كان عبد الله بن سبأ قد استطاع استخدام عمار بن ياسر وأمثاله وجعلهم من أدواته في المؤآمرة على تدينهم وفضلهم فإن غيرهم من المعاصرين من باب أولى! وهكذا.. يبنون على الأرضية التي بناها لهم مثل سيف بن عمر وسليمان العودة.

إذن فإبطال (النظريات المكذوبة) للمؤآمرة واجب شرعي لأن الأصل في كل التقلبات والأحداث هو الوضوح وعلى هذا الوضوح جرى المحدثون والمؤرخون المتقدمون في كتابة التاريخ الإسلامي بل على هذا دلت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ولا نقول بإبطال المؤآمرات جملة فهذا لا يقوله عاقل ويكذبه الواقع والدليل وكلنا نعلم أن المشركين تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن هذا التآمر نقل إلينا عبر القرآن الكريم والسنة الصحيحة والروايات الثابتة، أما أن يأتي كذاب ويتفرد بذكر مؤآمرة كانت سبباً في تغير الأمة الإسلامية وتقلباتها فهذا لا يقبله عاقل ولا باحث عن الحقيقة ولم يذكر المعاصرون لسيف بن عمر تلك الشخصية ولا من هم قبل سيف ولم يذكر هذا الدور المزعوم لابن سبأ مؤرخ ولا محدث ولا فقيه ولا أديب ولا شاعر ولا قاص ولا ثقة ولا كذاب قبل سيف بن عمر! ومن

جاءني بأحد هؤلاء ذكروا (دور) عبد الله بن سبأ (في الفتنة) فأنا راجع إلى قوله حتى وإن نقـــل ذلـــك كذاب مثل سيف بن عمر! بشرط أن أضمن ألا يكون قد نقل عن سيف بن عمر.

فأنا مثلاً لا أقبل كلمة (رواه الطبري) أو (ذكره ابن كثير أو ابن الأثير) لأن هـــؤلاء لم يأخـــذوا أخبار عبد الله بن سبأ في الفتنة ألا من كتب سيف بن عمر فقط! ومن ادعى خلاف هذا فعليه الـــدليل ونحن في الانتظار.

القضية مشهورة إذن فهي صحيحة!

يحتج بعضهم على إثبات دور ابن سبأ بأن قضيته مشهورة جداً لا تحتاج لدراسة وتمحيص! وقـــولهم هذا فيه بعض الصحة من حيث شهرة القضية عند المقلدين لكن ما كل مشهور صحيح، ثم متى اشتهرت هذه القصة في التاريخ؟ هل اشتهر قبل سيف بن عمر أم بعده؟ فمن المقبول أن يشتهر حدث في التابعين ويقول به اثنان فأكثر لكن لا نستطيع أن نقبل تفرد كذاب بأخبار كبيرة حتى لو أصبحت هذه الأخبار مشهورة بعد قرون كون مصدرها غير موثوق.

والجميع متفقون أن هناك أحاديث كثيرة مشهورة لكنها ضعيفة أو موضوعة وليس لها أصل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل حديث (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد) فهذا الحديث مشـــهور لكن لم يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشتهر في العصر الأول أو الثاني إنمـــا اشـــتهر في الأزمنة المتأخرة وكذلك قضية عبد الله بن سبأ لم يذكرها مئات المؤرخين والمحدثين وأصحاب التـــراجم والتواريخ إلا بعد سيف بن عمر أما قبل ذلك فلم يذكروا له دوراً في الفتنة ولو بحرف واحد وكـــذلك بعد سيف بن عمر لم يذكر أحد منهم عبد الله بن سبأ فرد واحد اللهم إلا ما نقلوه من روايات ســـيف بن عمر وحده.

إذن فكلمة (مشهور) ليست حقيقة مسلمة لأن المشهور في أيامنا هذه لم يكن مشهوراً في القـــرون الثلاثة الأولى مع أن الحدث نفسه كان في القرن الأول! فليس من المعقول أن يبقى حدث كـــبير غـــير مشهور ثلاثة قرون ثم يشتهر بعدها؟! فضابط الشهرة بحاجة من الذي يحتج به أن يحدده قبل أن يحتج به.

بئس المطية!

(بئس مطية الرجل زعموا) هذا حديث نبوي صحيح الإسناد، والدكتور رغم أنه قد يردده في بعض خطبه! إلا أنه (زعم) أن بعض الناس الذين اتصلوا به قالوا أن المالكي (لا يرغب في الحقيقة! قدر ما يهوى النقاش وإثبات الذات وتسفيه أحلام الآخرين والوصول إلى هدف معين) ؟!

أقول : الذي يقرأ كلام الدكتور العودة هنا من العوام قد يعجبهم هذا لكن الدكتور لعله لا يعلم أن المقال كتبه للصفوة وليس للعوام ولعله لا يعلم أن الباحث سيستهجن هذا الأسلوب لأن هذا الكلام يدل ظاهره أن الدكتور العودة صَّدق هؤلاء الذين اتصلوا - إن كان ما قاله حقيقة! - وهؤلاء الذين اتصلوا لم يسألهم الدكتور:

هل يعرفون المالكي أم لا؟

ومتى تناقشوا معه؟!

وما هي أدلتهم أنه لا يرغب الحقيقة؟

وإذا كان لا يرغب الحقيقة فلماذا يطلب المناظرة ويرضى بالجهة التحكيمية التي يختارها الدكتور؟!

مع تقديمه للتنازلات الكبيرة؟!

لم كل هذا؟!

أهذا نفور من الحقيقة أم إقبال عليها؟!

ثم إن هواية النقاش ليس عيباً على اطراد وإنما يختلف باختلاف المناسبة،

وكذلك إثبات الذات لم يفسرها لنا الدكتور وهل منا من ينفي ذاته؟! إثبات الذات ليس عيباً إلا إذا أراد المثبت أن يغمط به الحق، كما لم يفسر لنا معنى (تسفيه الأحلام!) وهذه التهمة يكررها العودة كثيراً! فقد اتهم الدكتور الهلابي سابقاً بأنه (يسفه الأحلام) ! واتهمني في مقال له في الرياض بهذا (التسفيه للأحلام) ! وكرر ذلك في مقال المسلمون وهاهو اليوم يكرر التهمة ثم لا يفسر لنا ماذا يريد

من (الأحلام) ! هل يريد العقل أم يريد (ما يراه النائم) ؟ ويكون إثبات عبد الله بن سبأ نوعاً من (أضغاث الأحلام!)[٥٣] ويريد إلزامنا بهذه (الأحلام)؟

أم يريد الأناة؟

أم يريد الصبر؟

أم يريد التعقل؟

أم ماذا؟! فالدكتور العودة يردد ألفاظاً لا يعرف معانيها وقد يكون للفظة الواحدة أكثر من معنى وكنت قد دعوته في مقال (الرياض) إلى مراجعة جادة للألفاظ والمصطلحات التي ينشرها بدلاً من ترديدها بلا فهم ولا تحديد لمعانيها؟

ثم في آخر كلامه السابق انتقد عليَّ أنني أريد (الوصول لهدف معين)! وهذا ليس عيباً فما منا إلا يريد الوصول لهدف معين أو أكثر لكن يختلف الهدف من شخص لآخر، فرجل هدفه الوصول للحقيقة وآخر هدفه ستر الحقيقة! وآخر هدفه هدم زندقات سيف وآخر هدفه المحافظة عليها! وهكذا تبدأ الأهداف (المعينة) ولا تنتهي!

ثم إن مناقشة الأهداف تحتاج لمنهج أيضاً! والدكتور العودة لا يمتلك منهجاً في الحكم على الراوي الواحد وإنما ينتقي فكيف نطالبه بمنهج لفهم كلام الآخرين وتفسير أهدافهم؟! بل إن الدكتور فضلاً عن هذا كله لا يمتلك منهجاً لتفسير بعض الألفاظ والكلمات والمصطلحات التي يرددها بلا فهم لها وهذه مصيبة من مصائب العلم والبحث عند كثير من الأخوة الذين يظنون أن (الصلاح) كافٍ ولا يحتاج من (الصالح) لبحث! وجهة وحسن قصد.

إذن فأنتم لاحظتم في هذا النموذج من كلام الدكتور أنه في سطرين لم نجد إلا ألفاظاً بالونية هلامية لا تمسك منها شيئاً وهذا للأسف ديدن كثير من الصالحين فضلاً عن كثير من المؤرخين فهم يرددون ألفاظاً وكلمات ليس لها طعم ولا تظفر منها بموقف إلا مجرد دلالتها على التحامل والتشنج فقط فهي

---

[٥٣] هذه مبالغة مني أعتذر عنها، لأن (تسفيه الأحلام) إذا أطلق فيراد به (تسفيه العقول) لكننا قد أثبتنا أن دور ابن سبأ يخالف العقل، فإثبات الدور فيه تسفيه لأحلام الجيل الأول وتسفيه أحلامهم أشنع من تسفيه أحلاكم سيف بن عمر ومن تبعه.

مادة خام تصلح لكل خصومة! ومع كل عدو! فهي لا تفرق بين الكافر المحارب والمسلم المنتقد كل هذا في عصر نحن أحوج ما نكون إلى الوضوح والدقة ما أمكن.

بين فئتين!

ثم ذكر الدكتور العودة أنه كان محتاراً بين فئتين، فئة يرون أنه (لا فائدة من إضاعة الوقت مع المالكي! وأن أقصر الطرق لسقوطه هو إغفاله! وأن الناس لن يتأثروا بمثل اطروحاته!) لكن الدكتور للأسف لم يستجب لهذه الفئة حتى يسقط المالكي! وإنما استجاب للفئة الأخرى التي تطالب بـ (ضرورة التصدي له! وبيان عور منهجه! ولو كان على حساب الوقت المبذول! وإنه بحاجة إلى من يقلم أظافره! مع إعطاء القارئ حصانة! وحماية الأمة من أفكاره!)

أقول: نسي الدكتور أنه لا يكلم نفسه فقط! وإنما يتحدث أمام الملأ! وأن الناس سيعرفون أنه من خلال هذه الألفاظ قد اختل توازنه الحواري، وهذا الاختلال دليل على ضعف الحجة وندرة البرهان، كما أن هؤلاء الناس فيهم من يعرف الحقيقة أو يحاول! وفيهم من يرى أن هذا الأسلوب من أول نظرة إليه ليس أسلوب باحث عن الحق! وإنما أسلوب باحث عن (إثبات الذات! وهواية النقاش والجدل) ! كما نسي الدكتور أن أكاذيب سيف لا تعطي حصانة ولا تحمي أمة ولا تقلم ظفراً وإنما تطيل الأظافر وتحد الأسنان! وهي نفسها تدمر (فكر الأمة) وتدمر (الروايات الصحيحة) وأنها أولى ببيان (عور منهجها) وأولى بأن نعطي في نقده (الوقت المبذول) !

الدكتور معذور!

وفي ظني أن حدة الدكتور العودة هنا طبيعية جداً وهو معذور لأن الأمور انكشفت كثيراً! فهناك اكتشاف حديث يؤكد أن رسالة كاملة لأحد الدارسين عن (عبد الله بن سبأ) تبين أن صاحبها -المتبجح بمنهج أهل الحديث- قد أقامها على (راوٍ كذاب)! لكنه مع هذا كان ذلك الدارس قوي التلبيس! فقد نسب أخبار هذه الشخصية إلى مائة وتسعين مصدراً! إمعاناً في استغفال القراء مع أن تلك

المصادر كلها نقلت دور ابن سبأ عن ذلك الراوي الكذاب (سيف بن عمر)! ولا ريب أن الدارس بعد أن انكشفت تلك الرسالة إلى هذا الحد لابد أن يكون في وضع صعب ينبغي أن يُرحم! ونحن لا نحس بالألم لأنه ليس لنا رسائل مماثلة! و لم نقع في الفخ الذي وقع فيه بعضهم! بسبب إتباعه لسيف بن عمر الكذاب المتهم بالزندقة! لكن الدكتور العودة هو الذي نكأ جرحه بيده بسبب مطاوعته للتحريض التحريض (غير البريء!) من الدكتور حسن الهويمل له بالدخول في حوار حول (ابن سبأ وسيف بن عمر) وفي ظني أن الدكتور العودة قد تبين له أن الهويمل قد غشه و لم ينصحه!.

الغموض بيني وبين الدكتور!

ثم تكلم العودة عن (الغموض في الشخصية) عندي! والغريب أن أكثر الناس يتهمونني بخلاف هذا، ويقولون : أنت واضح وصريح أكثر من اللازم! بل لعل أكبر عيوبي عند كثير من الناس أنني (لا أخفي شيئاً) مثلما يفعل بعض الناس! بل إن الأخ الأستاذ عبد الحميد فقيهي – وفقه الله – اتهمني في إحدى المقالات بأنني (أعبر عن آرائي بكل صراحة) ! فالأخوة الذين اختلفوا معي كانوا على شبه اتفاق بأنني صريح لدرجة الإزعاج! حتى جاء الدكتور يقول أنني غامض! وهذا الاختلاف بينهم (غموض منهم) ! فليتفقوا أولاً – إن كان الموضوع يهمهم! – على صراحتي أو غموضي ثم ليردوا عليَّ بعد ذلك! خصوصاً وأنهم يثنون على بعضهم ويتفقون ضدي، وهذا من أغرب الحالات! فتجد الأخ علي رضا مثلاً يقول معي بنفي القعقاع بن عمرو وتكذيب سيف بن عمر ومع هذا يثني عليه الفريح والعودة اللذان يثبتان القعقاع وابن سبأ ويوثقان سيفاً! وتجد بعضهم كالهويمل يوصيني بالتروي والتثبت بينما ينكر عليَّ العودة التوقف في مسألة وجود ابن سبأ! وتجد الفقيهي ينفي دور ابن سبأ في الفتنة أو يكاد بينما العودة يثبت كل الدور المزعوم وزيادة! فأصبحت معهم مثل جحا وابنه مع الحمار فإذا كنت واضحاً قالوا هذه جرأة غير مقبولة! وإذا وجدوا تعقلاً قالوا هذا غموض! وإذا تمسكت بمنهج أهل الحديث قالوا هذا تعجيز! ولو تركته لقالوا هذا يوثق الضعفاء! وهكذا...، فلا ريب بعد هذا أنني لو أريد طاعتهم لوجدتها أصعب من عصيانهم لأنهم متفرقون أيادي سبأ، ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ ! ومناهجهم شتى، ونتائجهم أكثر تشتتاً، وأبحاثهم يلعن بعضها بعضاً، فالحمد لله على كل حال ﴿ولولا دفع الله الناس

بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ ! فلذلك لن أنتظر بما أراه من (منهجية) أن يوافق عليها أتباع سيف بن عمر! بل يستحيل أن يوافقوا عليها لأنني اخترت طريق أهل الحديث كالبخاري ومسلم وهم اختاروا طريق سيف بن عمر ولن يلتقي هذان الطريقان مهما كانت (الوساطات قائمة)! لأن الصدق والكذب لن يلتقيا كما أن سنة البخاري لن تلتقي مع زندقة سيف بن عمر![٥٤].

[٥٤] من هذا المقطع يتبين أنني أيام كتابة المقالات كان فيَّ نوع من غلو في أهل الحديث، وكما قلت سابقاً، هو منهج من مناهج كثيرة لدراسة الأخبار.

المقال السادس

شيء من التناقض!

تحدث أخي الدكتور العودة عن أبرز سمات (منهج المالكي!) وهذه السمات كان قد ذكرهـا في مقاله بصحيفة الرياض قبل أشهر لكن باختصار، وكنت يومها قد أعرضت عنها لأنها خارج الموضوع الذي نتحدث فيه وهذه الأمور التي يسميها (سمات) لا تخرج عن قاموس الدكتور (الداعية) ! الـذي يعتبر كل شتائم هذا القاموس من (النصح للأمة)! وهكذا فليكن الفهم المذهبي الضيق للشرع الحنيـف! مع أنه قد اتهم أخاه المسلم مستثيراً عواطف الجماهير بأن هذا يطعن في الصحابة ويسفه الأحلام ويثبت الذات! والدكتور لا يحدد الضوابط لهذه الاتهامات التي يرمي بها أخاه المسلم فعندما يزعم أن المـالكي ينال من الصحابة لا يحدد معنى (النيل) هذا وأدلته! ولا يفرق بين نص في صحيح البخاري وبين كذبة أو وهم لأحد المؤرخين! ومن باب التنازل مع الخصم أقول :

على افتراض أن هذا المالكي ينال من الصحابة فهَّلا توافق على المناظرة حتى تثبت ذلك أمـام لجنـة لتحكيم الأقوال والمزاعم ولتساهم هذه اللجنة في (تقليم أظافر الجاهل المتشبع بما لم يعط! وبيان عـور منهج المجازف منا) ! نعم لو كان الدكتور يريد (النصح للأمة) لوافق على المناظرة، حتى ينكشف لهذه الأمة من منا ينال من الصحابة؟

أهو الذي يسرد نصوص البخاري أم الذي يذكر أن عبد الله بن سبأ وظَّف الصـحابة البـدريين في خدمته!

أهو الذي يثبت حديث عمار المتواتر أم الذي يذكر أن عمار بن ياسر وأبا ذر من تلاميذ عبد الله بن سبأ؟!

أهو الذي يذكر أن طائفة معاوية هي الطائفة الباغية (كما في الصحيحين) أم الذي يقول إنما قتلـه من جاء به!

هو الذي يبرئ علياً من السبئية أم الذي يقول أن علي بن أبي طالب ولَّى عبد الله بن سبأ على كتيبة يوم الجمل؟!

أهو الذي يثبت أن قتلة عثمان المباشرين لقتله ليس منهم صحابي أم الذي يذكر أن عمار بن ياسر من قتلة عثمان؟!

أهو الذي يبرئ عبد الرحمن بن عديس من الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم الذي يتهمه بالباطل!؟

أهو الذي يثبت أن الوليد بن عقبة شرب الخمر (كما في صحيح مسلم) أم الذي يقول أن الصحابة شهدوا عليه زوراً؟!

أهو الذي يذم مروان بن الحكم أم الذي يقول أن فساد الكوفة كان على يد عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص؟!

نعم نريد معرفة الطاعن في الصحابة معرفة حقيقية فيها الأدلة والحجج والبراهين بعيداً عن أساليب (مدرسة سيف بن عمر) المنتشرة بين كثير من المؤرخين التي لا زلنا نعاني منها إلى اليوم!

ومن علامات الثقات أنهم يأخذون عن بعضهم ومن علامات الكذابين أنهم يأخذون عن بعضهم أيضاً!! وهذا مطرد إلى زماننا هذا! فتجد أحدهم مع البخاري ومسلم وما صحَّ من الروايات والآخر تجده يسرح ويمرح مع أكاذيب سيف بن عمر! لا يعرف من الصحاح إلا اسمها ولا يستطيع تحقيق الروايات وحصرها! ولا يستطيع الجمع بين الصحيح منها وإنما يكفيه أن يذم الناس في خطبة من الخطب ليوصف من بعض السذج بأنه (حريص على العقيدة! لا يخاف في الله لومة لائم! وأنه على ثغر من ثغور الإسلام!) نعم نريد من الدكتور أن يوافق على المناظرة وإن وافق فلن يتغنى بالدفاع عن الصحابة بعد ذلك، لأنه يعرف سيفاً تماماً!، ويعرف ماذا يقتضي توثيقه لسيف! بل إن رسالته كلها تصب في (اتهام الصحابة كلهم) بالغفلة الشديدة لدرجة أن يأتي يهودي ويهدم الدولة الإسلامية في سنة ويغير مسار الأمة ويجعل الصحابة يموج بعضهم في بعض؟! أي صحابة هؤلاء؟! أهذه خير أمة أخرجت للناس!

فالدكتور العودة لم ينتبه إلى فحش إثباته لدور ابن سبأ! لأنه لن يعرف خطورة هذا الإثبات إلا عند المناظرة! و لم يلتفت لوصف المحدثين لسيف بالكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي التـــاريخ أيضاً و لم يلتفت لتطبيقات المحدثين والمؤرخين في القرون الثلاثة الأولى الذين لم يذكروا دور عبد الله بن سبأ بحرف واحد!

الدكتور والإجماع!

الدكتور يزعم أن ابن سبأ ثابت بإجماع الأمة؟!! ولو كان يعرف (معنى الإجمـــاع) و (ضـــوابط وقوعه) و (شروطه) لآخذناه على هذا القول، لكنه لا يلام! ولو رجع لمعنى الإجماع في كتب الأصول ثم طبقها على ابن سبأ لوجد أن الإجماع على نفي دور ابن سبأ أقرب وإذا لم يصدق فليأتني بواحد من المحدثين أو المؤرخين ذكر عبد الله بن سبأ في الفتنة قبل سيف بن عمر! وإذا جاءني بواحد فمـــن حـــق الدكتور عليَّ أن آتيه بمائة من معاصريه ممن لم يذكروه، فإن لم يستطع فمن حقه عليَّ أن أثبت لـــه دور ابن سبأ كاملاً! لكن الدكتور كما قلت سابقاً لا يعرف كثيراً من الألفاظ والمصطلحات التي يطلقهـــا، ولو كان يعرفها لما ادعى (الإجماع) على إثبات دور ابن سبأ! فهذه فضيحة علمية من فضـــائح هـــذا الدكتور الذي لا يزن كلامه ولا يدري ما يخرج من رأسه وهو لم يكتف بإفساد حقائق التاريخ حـــتى جاء ليفسد علينا أصول الفقه !

العلماء بيني وبين الدكتور؟!

ثم ذكر من سماتي! (التقول على العلماء بغير حق وتجريحهم) ؟! هكذا (رمتني بدائها وانسلت) ! ثم لم يدلل على كلامه بذكر نماذج من (تلك التقولات) ولا (تلك التجريحـــات) ! وإذا كـــان يعتـــبر الاستدراك على من سبق تجريحاً فهذا تعريف جديد للتجريح! وما أكثر التعريفات والمفـــاهيم الجديـــدة المخلوطة في مقالات الدكتور! ثم إن هذا التعريف الجديد للتجريح لم يسلم منه أحد حتى الدكتور نفسه قد وقع في كبير من هذا ولا أريد الاستطراد فيه وإنما أريد أن يثبت أقواله إن كان يعرف معنى (التجريح

والتقول) ! أما إن كان لا يعرفهما – كعادته –! فهذا شيء خاص به لست مسئولاً عن تعليمه هذه الألفاظ ودلالاتها.

المبتدعة بيني وبين الدكتور؟!

ثم ذكر من سمات منهج المالكي! (الهوى مع المبتدعة والدفاع عنهم؟)

أقول : لو كان هذا الكلام من أحد الباحثين الذين يردون الروايات الضعيفة وروايات المبتدعة ولا يقبلون إلا الروايات الصحيحة لقلنا له عذره، لأنه من زيادة حرصه وقع في الباطل أما أن يكون هذا الكلام ممن رسالته كلها قائمة على (كذاب زنديق) ! فهذا عجيب! لأن الزندقة هذه أكبر من البدعة! إذن فالدكتور لو كان يعرف معنى كلامه لما سطره لأن كل ما يتكلم به من (الهوى مع المبتدعة) فهذا ليس عندي ولكن إنصاف المسلم ولو كان مبتدعاً واجب شرعي، بل إنصاف الكافر واجب فكيف بالمسلم؟ وقد سبق أن قلت له أنني لم اعتمد على رواية واحدة بل ولا حرف واحد مما رواه أبو مخنف – الذي يعيرني به الدكتور – بينما رسالة الدكتور كلها قائمة على من هو شر منه وهو سيف بن عمر! وعلى افتراض أنني مخطئ في تفضيل أبي مخنف على سيف إلا أنني من الناحية العملية التطبيقية أطّرح الاثنين (أبا مخنف وسيف بن عمر) ولم أنقل عنهما في كتبي ولا مقالاتي حرفاً واحداً اللهم إلا منتقداً فأين يذهب الدكتور؟! ومَنْ منا (يهوى المبتدعة والزنادقة) ويدافع عنهم؟! هل تعقل ما تقول يا دكتور؟! أنا أشفق عليك من الاستمرار في هذا الطريق الذي لن يخدم سمعتك العلمية ولا مركزك الأكاديمي ولا منهجيتك التي تفخر بها! والرجوع بالرضا اليوم خير من الرجوع لاحقا عذراًا!.

المشبوهون بيني وبين الدكتور؟!

وذكر أن تلك السمات (التشابك مع الطرح المشبوه وتلميع المشبوهين) ؟!

أقول: هذه أخذها العودة من الدكتور حسن الهويمل! ثم إن المشبوهين أخف ممن اتفق أهل الحديث على ضعفهم لكذبهم وزندقتهم لأن سيف بن عمر من أقل ما يقال عنه أنه (مشبوه)! ومع هذا يحتفي به

الدكتور؟! وإذا كان يقصد بالمشبوهين المستشرقين والشيعة فقد ملأ رسالته من النقولات عنهم! فنقـــل عن رجال الشيعة ومؤلفيهم كالناشيء الأكبر والقمي وأبي حاتم الرازي وهو (غير السني صـــاحب أبي زرعة) والمجلسي والطوسي وابن المطهر وأمثالهم ونقل عن المستشرقين من يهود ونصارى أمثال فلـــوتن وفلهاوزن وإسرائيل فلندر وليفي ديلافيد وجولد تسهير ولويس وهوجن وهربلو ودي ساسي وفويـــل وفون كريمر ودوزي وموير وأوغست ميلر وكروتس وهرشفلد! (انظروا كتاب عبـــد الله بـــن ســـبأ للدكتور ص٥٩ وما بعدها) فها هم نحو الثلاثين من الشيعة والمستشرقين واليهود والنصارى نقل عنهم هذا الدكتور! وتشابك مع أطروحاتهم! واحتفى بهم! بينما يحرم على الناس النادر من الكثير الذي أباحه لنفسه! وهذا من كمال عدله! وكمال فهمه للشرع! وكمال صدقه مع نفسه ومع القراء!ومـــع أنـــني اعتمدت في نفي دور ابن سبأ على منهج أهل الحديث و لم أنتظر أن تكون النتيجة ستغضب أصـــحاب الطرح المشبوه أو ترضيهم، ولكنني قصدت الحقيقة فقط ولذلك فأكثر الشيعة والمستشرقين على إثبـــات عبد الله بن سبأ! فإن كان التوافق مع القليل منهم على نفي عبد الله بن سبأ يعد طرحـــاً مشـــبوهاً أو تشابكاً معه، فالتوافق مع معظمهم في إثبات ابن سبأ ودوره من باب أولى أن يسمى (تشابكاً مع الطرح المشبوه!) ، كما أن النقل بأن مرتضى العسكري نفى ابن سبأ أخف من النقل عن عشرة ممن هم أكثـــر تطرفاً منهم بأنهم أثبتوا ابن سبأ؟!! فأين يذهب الدكتور؟ فلو أراح نفسه من البداية وأوضح إنه سيبحث عن الحق بغض النظر عما إذا كان هذا الحق جاء من ثقة أو مشبوه أو متحقق في زندقته! فهذا (أشبه) في تجنب الطرح (المشبوه)!

بقية الاتهامات

ثم أضاف الدكتور – هداه الله – مزيداً من الشتائم التي أربأ بنفسي عـــن بالـــدخول في متاهاتهـــا كالاتهامات بالكذب وتشويه الحقائق ونحو ذلك مع ما لمحَّ به من نظرية المؤآمرة (التي زرعها سيف في عقول موثقيه!) وغير ذلك من الأمور التي أربأ بنفسي عن الدخول فيها لأنها لا تخدم الحقيقة بالإضـــافة إلى أن حسن الظن بالدكتور أنه لا يعتقد ما يقول ولكنه يريد إخراجنا من الموضوع الأساسي (موضوع سيف بن عمر وعبد الله بن سبأ) إلى هذه (المهاترات) البعيدة عن موضوعنا وعن أخلاقيات الحـــوار

الأساسية وقد سبق أن قلت في صحيفة الرياض أن مثل هذه الشتائم التي يطلقها هذا الدكتور (الداعية الخطيب!) قد تركتها لله فإن علم الله أن الدكتور صادق فيها فسيعاقبني عليها لأنها ذنوب لم أعلن توبتي عنها، وإن علم أن الدكتور كاذب فيها فسيأخذ لي منه حتى وإن كان (داعية خطيباً!) يعظ الناس كل جمعة (ويأمرهم – أحياناً – بعفة اللسان!)

المقال السابع

لست مسئولاً عن الوساوس!

استنكر عليَّ الدكتور العودة كثرة الشكوى من سوء الفهم الذي يبني عليه الآخرون تعقيباتهم ونسي أنه بنى كل مقالاته الأربع في صحيفة الرياض على سوء فهم! ونسي أننا – نحن العرب – لم نتعلم في مدارسنا بعض المبادئ المنطقية التي تعيننا على فهم كلام الآخرين! ونسي أو تناسى أن سوء الفهم هو الأساس في معظم حواراتنا وإن انعدم سوء الفهم لم تنعدم إساءته!.

وعلى سبيل المثال فقد ذكرت أنني أنفي دور ابن سبأ في الفتنة ولا أنفي وجوده مطلقاً ولم يفهم الدكتور هذا الكلام فحملني الأمر الأخير رغم أن نفي ابن سبأ مطلقاً أمر هين ليس قدحاً في عقيدة ولا علم فالقرون الثلاثة الأولى لم تكن على إثبات دوره المزعوم بل قد نفى وجوده بعض علماء السنة قبل نفي بعض علماء الشيعة أو بعض المستشرقين كما أثبت وجوده بعض هؤلاء أيضاً. أما دوره في الفتنة فإن (٩٥ %) من علماء المسلمين على عدم إثبات ذلك. ومن أثبت ذلك من الـ (٥ %) إنما نقل ذلك عن هذا الكذاب الزنديق (سيف بن عمر) الذي يطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطرق معروفة ويكذب عليه وعلى أصحابه وعلى الجيل الأول بأكمله.

ومع هذا الوضوح في الطرح يتهمني الدكتور بأن لي (أهدافاً) مبيتة و (غموضاً) عجيباً إلى آخر ظنون الدكتور وتوقعاته التي لست مسئولاً عنها فله أن يتوقع ما يشاء ويظن ما يشاء، لكن ليس له أن يلزم الناس بوساوسه وظنونه ولو أنني أترك الفرصة لظنوني مثلما يترك الدكتور الفرصة لظنونه لقلت أن الدكتور العودة يريد من أسطورته في الفتنة (عبد الله بن سبأ) ما أراده سيف بن عمر من الطعن في الصحابة وتلاعب أحد بهم وأن الدكتور العودة يريد اتهام علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وأبي ذر وعدي بن حاتم وغيرهم بأنهم من أتباع هذا اليهودي! وأن الدكتور العودة يتظاهر بالصلاح مثلما زعم سيف عن عبد الله بن سبأ من أنه تظاهر بالصلاح حتى أطاعه الناس! وأن الدكتور العودة يريد بث زندقات سيف بن عمر وأكاذيبه في تراث المسلمين ولذلك كانت رسالته موجه للطعن في عمار بن ياسر

وأمثاله! والتشكيك في بيعة علي بن أبي طالب تأييداً منه لنواصب الشاميين الذين كانوا يلعنون علي على المنابر! وأن هذا رأي الدكتور لكنه لا يظهره خوفاً من السخط الشعبي! واكتفى بتوثيق سيف الذي يقوم بهذه المهمة نيابة عنه! من طرق ملتوية وغير مباشرة!! الخ

وهكذا لو كنت أستحل السير وراء الظنون والتخيلات والاستجابة للوساوس لقلت مثل هذا وأكثر وقد يكون بعض هذا صحيح لكن الأدلة فيها ضعف إضافة إلى أن هذا لا يخدم الحوار ولا البحث العلمي ولا الحقائق التاريخية والواجب علينا أن نتحاور حول المادة العلمية نفسها بعيداً عن هذه الوساوس مع أن هذه الوساوس لها جمهورها وقراؤها! والمتعطشون لها، ولعل الدكتور كان يقصدهم بمقالاته!.

ثم إن الأشياء التي ذكرت أن الآخرين أساءوا فهمها لم يحاكمها الدكتور كالعادة! ولم ينظر هل كنت صادقاً في ذلك أم لا! بل جزم بأن هذا مجرد هروب من (حصار) أكاذيب سيف وابن مجاهد وأمثالهم! وأنا أبارك له عدله وإنصافه! وفهمه لتلك الأمور التي اختلفنا فيها، وهكذا فليكن المنصفون الذين يحاكمون أقوال الخصوم!

العودة والشيخ الفوزان!

ثم أخذ الدكتور العودة يذكر الناس (بيوم بعاث) ! وذكر عن المالكي أن الناس (يذكرون مواقفه مع الشيخ صالح الفوزان من قبل!) ويقصد ذلك الحوار حول المناهج الذي كان بيني وبين الشيخ صالح الفوزان قبل ست سنوات[٥٥] في مجلة اليمامة وقد انتهى ذلك الحوار في تلك الأيام وليس لذلك الموضوع صلة بموضوعنا هذا ومن أراد أن يرجع لتلك المقالات فليرجع لها فقد كانت عن المقررات في الجامعة كزاد المستقنع ومنار السبيل وكتب النحو ولم تكن عن سيف بن عمر ولا عن عبد الله بن سبأ! فلماذا يدخلها الدكتور العودة هنا؟! هل هو لمزيد من الاستعداء؟! أم خلط أكثر من قضية في قضية واحدة؟! أم أنه شعر بالضعف فلم يجد إلا مثل هذا الربط الصعب والاحتماء الغريب؟!!

---

[٥٥] الآن كانت الحوارات تلك قبل أكثر من عشر سنوات، كانت بالتحديد عام ١٤١٢هـ.

على أية حال أنا لا أكن للشيخ صالح إلا كل خير[٥٦] رغم اختلافنـــا العلمـــي في تلـــك القضـــايا والموضوع الذي بيننا قد انتهى (وكلٌّ له وجهة نظر) ولا مصلحة في إحيائه إلا عند من يشعر بضعف حجته فيحتمي بهذا الخلاف؟!

ابن سبأ موجود أم غير موجود؟!

ذكر العودة أن (إجماع الأمة قديماً وحديثاً في إثبات وجود عبد الله بن سبأ) !

أقول أولاً : لا يقال : (أجمعوا في) ! ولكن يقال (أجمعوا على) فهذه فائدة في الطريق!.

ثانياً : العودة لو كان يعرف معنى الإجماع وشروطه وقوعه! وطرق العلم به! وكيفية نقلــه! وبمـــاذا ينعقد؟! ومستنده وما أشبه ذلك من مباحث الإجماع أقول لو كان يعرف العودة كل هذا أو معظمـــه لاستحى أن يزعم (أن الأمة أجمعت على وجود عبد الله بن سبأ) ؟! فهذا كلام من لا يعـــرف مـــن الإجماع إلا اسمه فلذلك لا يلام على هذه المجازفات والدعاوى.

ثم نجد الدكتور العودة أطال الكلام حول هذه المسألة ولم يفهم كلامي عندما قلت: (وأنا لم أقـــل بنفي وجود ابن سبأ..) وظن أن هذا تناقض مع قولي: (على افتراض وجوده) ! ومع قولي (إن كـــان موجوداً) ثم سأل بعد هذا وقال: (هل ثبت لديه وجود ابن سبأ أم أنه لا يزال شاكاً ولكنه عاجز عـــن الإفصاح)؟! فنجد الدكتور يستغرب كيف أنفي دور ابن سبأ في الفتنة وأتوقف في مسألة وجوده فيقول : (هل يمكن أن يبحث دوره دون أن يمر على أصل وجوده؟!) .

أقول: نعم يمكن وقد ضربت للعودة مثالاً بخالد بن الوليد الذي لا يشك أحد في وجوده وقلت له هل يجوز أن نثبت له كل الأخبار المنسوبة إليه؟! وكذلك سائر المشهورين الذين تواتر وجـــودهم ونجـــزم بوجودهم هل تصح كل الأخبار المنسوبة إليهم؟!

---

[٥٦] كان هذا يومها، أما اليوم فليس بيننا خير لمواصلة الشيخ استعداءه هيئة كبار العلماء ضدي.

إذن فالتفريق بين المسألتين أمر ظاهر ومع ظهوره لم يفهمه هذا الدكتور و لم يستطع إلى الآن استيعابه! ثم إن نفي الوجود (وجود ابن سبأ) أمر أصعب من نفي دوره في الفتنة لأن (دوره في الفتنة) كـــان عن سيف بن عمر صديق الدكتور العودة! أما وجوده فقد جاءت أسانيد أخرى ضعيفة تحتاج (للتروي التروي والسكينة السكينة) ! حسب نصيحة الدكتور الهويمل التي أثنى عليها العودة!

أما عدم فهمه لألفاظي في هذا الموضوع فلست مسئولاً عنه لأن الألفاظ باللغة العربية وباستطاعته أن يرجع لأقرب قاموس وهي متفقة تماماً فعندما يتوقف الباحث في مسألة معينة فإنه يحق له أن يقـــول (لا أجزم بنفيه) و (لا أجزم بوجوده) أو على (افتراض وجوده) فكل هذه متفقة ومن زعم أنها متناقضة فعليه أن يراجع كتب اللغة وسيجد الجواب.

إذاً فنفي وجود ابن سبأ ليس فيه تخوف مني لأنه قد جزم بنفي وجوده بعض البـــاحثين الأكـــادميين كالدكتور الهلابي مثلاً و لم يلحقه ضرر! لكن الذي يمنعني من نفي وجوده مطلقاً حب دراســـة المـــادة العلمية في ذلك فإذا درستها وترجح لي نفيه نفيته، كما إن ترجح لي وجوده ذكرت ذلك أما دوره في الفتنة فنعم أجزم أنه باطل للأسباب التي ذكرتها سابقاً سواءً الإسنادية أو المتنية أو العقلية.

والدكتور العودة لا يفهم من الأمور إلا أبيض أو أسود! فعندما أقول له: (أنا متوقـــف في مســـألة وجود ابن سبأ) تجده يسأل (هل تعني التشكيك في أصل وجوده أم التشكيك في دور ابـــن ســـبأ في الفتنة؟!) فعقله لا يستوعب أن أجزم بنفي دوره في الفتنة وأتوقف في مسألة وجـــوده فهمـــا عنـــده متلازمان بينما يمكن الفصل بينهما بسهولة.

والعودة ينـــزعج كثيراً من توقفي في وجود ابن سبأ فتراه يقول: (ولست أدري إلى متى سيســـتمر التوقف عند المالكي وهو الذي قرأ كثيراً وكتب كثيراً؟!)

أقول: أنت نقلت نصيحة الدكتور الهويمل بأن عليَّ (التروي التروي! والسكينة السكينة!..) ثم هنا تطالبني بالإسراع والبت في مسألة (وجود ابن سبأ)!

وأقول للدكتور: لو انتهيت إلى إثبات (وجود ابن سبأ) أو نفيه فلن يفيد رسالتك شيئاً لأن ما أنفيه الآن من دور ابن سبأ سيأتي على (٩٥ %) من رسالتك عن ابن سبأ وعلى هذا فوجود (٥ %) من

رسالتك عن ابن سبأ لا يصلح محاضرة فكيف يصلح رسالة؟! فلماذا تستعجل عليَّ في البت في (وجود ابن سبأ) وهو لا يفيدك شيئاً؟! لأن الرسالة ساقطة بدون هذا لاعتمادها على سيف بن عمر في (٩٥ %) منها على الأقل!!. ومسألة نفي ابن سبأ ليست جديدة فأكثر علماء المسلمين في القرون الثلاثة الأولى لم يذكروا ابن سبأ وجوداً ! وكلهم مجمعون على نفي دوره في الفتنة وذلك لأن سكوتهم عنه وعدم ذكرهم لدوره بحرف واحد مع توفر الدواعي الكثيرة على ذلك دليل واضح على نفي هذا الدور وإذا شاء الدكتور أن يراجع فليفعل وسيجد أن الأصل في ابن سبأ عدم الذكر واطراح أخباره في التواريخ! فأين ستضع رسالتك من هؤلاء الذين تدعي كاذباً -للأسف!- أو مخطئاً إجماعهم على وجود ابن سبأ؟! وأسوأ من إثبات الدكتور لدور ابن سبأ أنه يخون علمياً بنسبة أخباره إلى المؤرخين كالطبري وابن كثير ويوهم القراء أن هؤلاء لم يأخذوا أخباره عن سيف! مع أنه يوصي بتحري الأمانة العلمية! ولله في خلقه شؤون!

المقال الثامن

مرارات الحقائق!

الدكتور العودة والدكتور الهلابي

يحاول الدكتور العودة أن يذكر الدكتور الهلابي وكأنه المنكر الوحيد لشخصية ابن سبأ! ويـــذكرني وكأنني مقلد للهلابي فقط! بينما قد سبق الهلابي وسبقني من علماء أهل السنة مَنْ نفى دور ابن سبأ على الأقل أمثال العلامة المحدث عبد الرحمن المعلمي في كتابه (الأنوار الكاشفة) والعلامة المحـــدث محمـــد العربي التباني في كتابه (تحذير العبقري) والدكتور علي سامي نشار وغيرهم بل إن علماء أهل الســـنة والجماعة من المحدثين والمؤرخين لم تكن الأغلبية منهم يذكرون ابن ســـبأ بحـــرف واحـــد لا دوراً ولا وجوداً، يقول العلامة المعلمي في كتابه الأنوار الكاشفة ص١٣٤ : (ثم ذكر (أبو رية) قصة عبد الله بن سبأ وقد نقدها الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى فأجاد) !

أقول : انظروا لهذا العالم الجليل الذي هو محل اتفاق من الجميع ولا يستطيع الدكتور العودة ولا غيره أن يتهمه في نيته أو منهجيته بحرف واحد، انظروا إليه كيف يأخذ الحق ممن أتى به وكيف أيد الدكتور طه حسين في نقده لمسألة عبد الله بن سبأ! علماً بأن رأي الدكتور طه حسين لا يخفى على الدكتور!.

ويقول العلامة المحدث محمد العربي التباني وهو من علماء الحديث في كتابه تحذير العبقري (٣٣٣/١) : (قد عظم الخضري من شأن ابن سبأ هذا فجعله قائد ومحرك الفتنة الكبرى التي قامت على عثمان في جميع الأمصار وكرر هنا التهويل به فجعله أحد الأسباب الأربعة في قتل عثمان رضي الله عنه وهو أقـــل وأذل من كونه أحد الأسباب في مقتله فضلاً عن كونه قائد الفتنة..) وقال (٢٩٢/١) : (وابن ســـبأ عند من سبر التاريخ الإسلامي الصحيح أقل وأذل من هذا كله) . وذكر (٢٩٣/١) أن إثبات ابـــن سبأ (مشتمل إجمالاً على رمي جميع العرب والصحابة وعثمان وعماله بالتغفيل) ! وهذا ما أراده سيف بن عمر و لم يتفطن له الدكتور وما أصاب هذا الدين مثل غفلة الصالحين!.

وقد توسع الشيخ المحدث محمد العربي التباني في نقض أخبار ابن سبأ في كتابه في أماكن متفرقة والغريب أن الدكتور العودة لما عرض آراء الناس في ابن سبأ أخفى رأي المعلمي ورأي التباني! ولا أدري هل أخفاهما جهلاً بهما – وهما من هما – أو أخفاهما تعمداً! مع أنه قد أورد أقوالاً لليهود والنصارى والشيعة! فكان نقل آراء هؤلاء الأعلام من (أهل السنة) أولى، لكنه يظهر أنه رأى أن الرد على هؤلاء صعب بعكس الشيعة والمستشرقين الذين يكفي الدكتور في نقض آرائهم أن يبين عقائدهم فقط! ثم يجعل هذا كله في باب (التآمر على تاريخ الإسلام!) وهكذا تسير الأمور بهذه السهولة!

وكذلك الدكتور علي سامي النشار – وهو صاحب دراسات إسلامية رائدة – انتهى إلى أنه (من المحتمل أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية موضوعة أو أنها رمزت إلى شخصية عمار بن ياسر) ! ثم قال : (ومن المحتمل أن يكون عبد الله بن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار بن ياسر!) ثم ذكر أن الأمويين والنواصب (كذبوا على عمار بن ياسر بتلك الآراء) ويرى أن مسألة عبد الله بن سبأ من وضع اليهود والغنوصية! ورغم تحفظي على هذه النتائج إلا أنها أفضل مما يسطره الدكتور العودة في رسالته تقليداً لسيف بن عمر واتهاماً للصحابة بالغفلة ومطاوعة اليهود! فهذا هو الطرح (المشبوه) وليس نفي عبد الله بن سبأ! لكن العودة لا يعرف أن هذا الطرح خطير ومشبوه لأنه لم يصدّق المحدثين في اتهام سيف بالزندقة والكذب والضعف! وهو اليوم أكثر إصراراً على الدفاع عن زندقة سيف لأن هذه الزندقة في سيف أصبحت تقوم فوقها رسالة الدكتور العودة! وهو غير مستعد أبداً للاعتراف بزندقة الذي كان له الفضل في أعطائه كل هذه المكاسب! ونكران الجميل ليس من شيم العرب! والخلاصة في الأمر: أن المعلمي والتباني وغيرهم من الذين ينفون دور ابن سبأ يرون في إثباته طعناً في الصحابة والجيل الأول أكثر مما يراه الدكتور من ذلك عند نفيها!!.

وقد صرَّح الدكتور بأن: (الجرأة على تخطئة الأئمة الأعلام مسلك خطير) ولا أظنه إلا سيخطئهم! بل قبل هذا سيخطئ علماء القرون الثلاثة الأولى الذين لم يذكر أحد منهم دور ابن سبأ في الفتنة بحرف واحد!

العودة لا يعرف معنى المغالطة!

ذكر الدكتور العودة أنني أحاول إبعاد الرافضة عن عبد الله بن سبأ مستدلاً بقولي: (كيف قامت الرافضة تشفع في ابن سبأ ولم توجد بعده على افتراض وجوده بعشرات السنين) ! ولا أدري هنا من الذي يغالط؟! فالعودة لم يفهم كلامي البتة لأنني إنما نقدت الرواية التي أوردها الدكتور والتي فيها لفظة (الرافضة) وأنها شفعت في ابن سبأ (يوم بويع علي!) بينما كانت بيعة علي عام ٣٥هـ ومصطلح الرافضة لم يظهر إلا عام ١٢٢هـ عندما رفض بعضهم متابعة الإمام الشهيد زيد بن علي رحمه الله عند خروجه على هشام بن عبد الملك فسموا رافضة يومئذٍ؟! فأنا أنكرت متن هذه الرواية بناءً على هذا التخبط لأن بيعة علي لم تكن بعد ١٢٢هـ إلا عند من يعتقد بالرجعة وأن علياً لم يمت وأنه في السحاب! وأربأ بالدكتور العودة أن يعتقد هذا الاعتقاد! وعلى هذا فلا يستطيع العودة إلا أن يسلم بأن الرواية مكذوبة موضوعة! وأن نقدي لها لا يعني دفاعاً عن الروافض إلا عند المغالطين!.

ابن سبأ والسبئية!

أورد العودة نصوصاً في نسبة السبئية إلى ابن سبأ وهذه لو يرسلها العودة للدكتور الهلابي لكان أفضل فعنده جوابها وليس عندي!

أما قوله بأن التشكيك في السبئية وسيلة إلى التشكيك في ابن سبأ نفسه! فما أسهلها من تهمة فهذه التهمة كان عليها السلف كلهم في القرون الثلاثة الأولى وكما قيل (فتلك شكاة ظاهر عنك عارها) ! ولو أن البحث والدراسة التي أقوم بها هذه الأيام توصلت إلى أن ابن سبأ أسطورة فلن أتردد في إعلانها فقد أعلنت أسطورة القعقاع بن عمرو عندما بحثته رغم أن الذين ينفون وجود القعقاع قلة بعكس ابن سبأ فقد نفاه كثيرون سواءً الذين نفوا دوره أو وجوده! وهذا كله أمر طبيعي وليس في القضايا التاريخية ما يدعو لهذا التهويل والتخويف فالحقيقة لا بد أن يعرفها الجميع وإن أضرت ببعض الرسائل!

الوصية وابن سبأ!

سبق أن قلت أن الدكتور العودة لا يعرف كثيراً من الألفاظ والمفردات والأساليب العربية وعلى هذا يسيء الفهم ويستنكر علينا بيان هذا أيضاً! فهو على سبيل المثال يقول: (وفي كتاب الريـــاض ص ٧٩ يحاول المالكي إنكار بث ابن سبأ لعقيدة الوصية وهنا مسألة خطيرة!)

وسأنقل لكم ما قلته في الصفحة نفسها حتى تعرفون أن الدكتور إما أنه يتعمد تحريف كلام الخصوم أو أنه لا يفهم الكلام وعلى هذا فليس مؤهلاً للبحث في هذه القضايا لأن اللغة وســـيلة مشـــتركة إذا فقدها الباحث يكون قد فقد التأهيل، فأنا في الصفحة التي أشار إليها العودة كنت أتكلم عـــن عنـــوان كامل أسميته (تناقضات سيف بن عمر) وذكرت مثالين على هذه التناقضات كان المثال الأول ما قلته من أن سيفاً : (يروي أن عبد الله بن سبأ نشر فكرة الوصية لعلي بن أبي طالب ثم يروي أن أهل البصرة عندما خرجوا كانوا يشتهون طلحة وأهل الكوفة كانوا يشتهون الزبير وأهل مصر كانوا يشتهون عليـــاً وهذا يتناقض مع فكرة (الوصية) لأن عبد الله بن سبأ لو بث فكرة الوصية لعلي وتأثر الناس بها فلماذا اختار أتباعه بالبصرة والكوفة غيره؟! مع أنه لم يدع بـــ (الوصية) للزبير ولا لطلحة فهـــذا تنـــاقض) اهـــ.

أقول: ماذا تفهمون من كلامي السابق هل تفهمون نفي فكرة الوصية أم تفهمون تناقض سيف بـــن عمر! لا ريب أن تناقض سيف هو المقصود وهو عنوان الملحوظة هناك لأنه إن كان ابن سبأ قد بـــث فكرة الوصية لعلي في الأمصار فلن يتفرق أتباعه في ذلك!ويختار أكثرهم طلحة والزبير!.

ومنهج أهل الحديث يعلمنا أن نثبت الروايات الصحيحة فقط وهذا المنهج لا يقيم لابن سبأ في الفتنة أي دور وعلى هذا فرواية سيف هنا عن الوصية في غاية التناقض والاختلاق لأن عندنا البديل الصحيح وثبت أن الخارجين على عثمان فيهم صحابة وتابعون يستبعد أن يسيرهم هذا اليهودي كيـــف يشـــاء! ويبث فيهم هذه الفكرة (فكرة الوصية) بكل سهولة؟!

نعم أنا أختلف مع الدكتور في أصل المنهج الذي طبقه فهو يختار من الروايات ما يشاء! ويرد ما يشاء لكن لو اتفق معي على التزام منهج معين فإنه سينجبر أن ينفي دور ابن سبأ في الفتنة بكل مـــا ســـطره سيف بن عمر من وصيه وغيرها! والدليل على ذلك أقول :

هل يستطيع العودة أن يأتي لي برواية واحدة – من غير طريق سيف – تقول أن ابن سبأ هو الذي بث فكرة الوصية؟! إذا كان لا يستطيع – ولن يستطيع – فهل يجوز له أن يلزمنا بروايات سيف الزنـــديق الوضاع؟!

أنا والدكتور الهلابي!

يذكر العودة أنني أحتمي بالدكتور الهلابي و لم يبين لنا الاحتماء من ماذا؟! أمن أكاذيب سيف بـــن عمر؟! أمن رسالته (القوية!) ؟! أم من ماذا؟!ثم إن الدكتور نفسه يحتمي ببعض الأشخاص كالشـــيخ الفوزان والدكتور الهويمل وغيرهم ويحتمي برسائل أخرى كرسالة الدكتور ناصـــر القفـــاري ورســـالة الدكتور يحيى اليحيى ولا ريب أن هاتين الرسالتين من أقوى الرسائل الجامعية لكن الرسالتين ليستا مبنيتين على سيف بن عمر مثلما فعل الدكتور العودة ! بل إن رسالة الدكتور القفاري خاصة مما أوصـــي بـــه وأقوم بتوزيعها مجاناً والحمد لله وإذا حاول العودة أن يقارن نفسه بالقفاري فهو مغالط فأين السيف من العصا! لأن القفاري ورسالته لها نمط مختلف تماماً عن العودة ورسالته! فتجد عند القفاري حسن الجمع وقوة التحليل ووفرة المصادر وهو وإن كان عمله مثل سائر أعمال البشر إلا أنه رجل عالم في موضوعه بكل ما تحمله كلمة (عالم) أما الدكتور العودة ورسالته فالله المستعان!

وكذلك سائر من احتمى بهم العودة من المتقدمين كابن تيمية وابن حجر وغيرهم كـــل هـــؤلاء لا يثبتون دور ابن سبأ[٥٧] في الفتنة وإنما يرون وجوده فقط وهذا خلاف ما ذهب إليه الدكتور في رسالته كلها! فمن منا يسلك مسلك تخطئة العلماء؟! وهذه الفوائد والاستقراءات سبق أن ذكرتها له في مقـــال (الرياض) وفي (المسلمون) لكنه يكرر المسألة من باب (عنـــزة ولو طارت)!

[٥٧] إلا ابن تيمية فأنا قد وقفت على موضع كأنه يرى هذا الدور، لكن ابن تيمية ليس له مصدر إلا سيف بن عمر إضافة لانحرافهما عن علي وميلهما لمعاوية.

المقال التاسع:

الروايات الثمان أم الإحدى عشرة؟!

الدكتور العودة لم يكن يعرف روايات من غير طريق سيف بن عمر إلا ثمان روايات فلما قلت له بأن تلك الروايات أعرفها وزيادة ثم زدت له ثلاث روايات وقلت له أن معي غيرها نراه أيضاً في المسلمون يضع عنوان (الروايات الأحد عشر) ولم ينسب لي تلك الروايات الزائدة وهذا من كمال (الأمانة) التي يوصي بها في خطبه!

العودة ذكر أنني قلت (أن أخبار ابن سبأ لم ترد إلا من طريق سيف بن عمر) وهذا صحيح في (أخبار الفتنة) أنا قلت ذلك أما أخباره (مطلقة) فقد ذكرت أن عندي من الروايات ما ليس عند الدكتور والدكتور يحاول أن يثبت أنني متناقض لكن بلا فائدة فهو يحيل في هذه المسألة على ص٢٦٠ و ص٥٨ من كتاب الرياض ولو رجعتم إلى هذه الصفحات لعلمتم حقيقة قولي الذي لم يفهمه الدكتور العودة !.

وأنا تحاورت مع كثير من الناس ولم أجد أسوأ فهماً للأقوال من الدكتور العودة وهذه بلية عظيمة! إذ على هذا كيف يفهم إجابات الطلاب الذين يدرسهم؟! فالله يعينهم! فكيف سيفهم إجاباتهم على أسئلته؟! وكيف سيفهم استشكالاتهم؟ وهل سيتهمهم بالبدعة إن لم يفهمهم ولم يفهموه؟! وكيف يفهم المراجع والمصادر التي يعود إليها؟! وكيف يستطيع - وهو بهذا الفهم - أن يبحث قضية شائكة مثل قضية عبد الله بن سبأ؟! ولا غرابة في إساءة فهم الدكتور لكلامي فهو لم يفهم إجماع المحدثين على اطراح سيف بن عمر بل عده توثيقاً منهم! فماذا أقول بعد هذا؟

الإلزام بطرق ضعيفة!

أما إلزامه لي بإثبات وجود ابن سبأ لأن طرقاً أخرى قد ذكرته فهذا لم يخفَ عليَّ وقد أعطيته طرقاً زائدة على ما ذكر لكن تلك الطرق ليست في دور ابن سبأ إنما في وجوده، ثم هي لا تنتهض لإثبات

وجوده لأسباب كثيرة منها ضعف الطرق وتناقض متوها ورد بعضها على بعض يجعلنا نلتزم (السكينة السكينة!) حتى نـــزيل تناقضات تلك الروايات التي لم تتفق على اسم واحد فضلاً عـــن اختلافهـــا في الأحداث والمعلومات وتضاربها!.

والعودة لو كان يعلم أن بعض الأحاديث (الموضوعة المكذوبة) لها أكثر من طريق لما قال ما قـــال لكنه يجهل منهج المحدثين وعلى منهجه في الإلزام يمكننا تصحيح كل الأحاديث الموضوعة لأن لها طرقـــاً أخرى! وهذا تلاعب رخيص بـــ (المنهجية) التي تقودنا إلى الوصول للحقيقة.

لا يعرف معنى (المنهج) !

ذكر أنني حددت الخلاف بيني وبينه في أصل المنهج وهو صادق لكنه حرف المعنى الذي أردت فأنـــا أريد (منهج أهل الحديث) فهو ينادي به وينكر على الهلابي عدم تطبيقه لكنه لا يطبقه على صـــديقه سيف بن عمر!

جوهر القضية في ابن سبأ!

العودة يعترف بأن جوهر قضية ابن سبأ هو (دوره في الفتنة) ! وهذا الدور لا يوافقه عليه جل علماء الإسلام قديماً وحديثاً بل هذا الدور المزعوم انفرد به سيف بن عمر الوضاع المتهم بالزندقة!

أبو مخنف وسيف بن عمر!

حاول العودة كعادته أن يلزمني بتوثيق أبي مخنف وهذه محاولة سبق أن أجبت عليها بأنني لم أعتمـــد على حرف واحد مما رواه أبو مخنف بخلاف ما فعله العودة مع سيف بن عمر الذي لا يحتاج لتكرار.

ثم إن العودة تغافل عن كشفي لتحريفه على القراء وإلزاقه ترجمة (عمرو بن شمر) بترجمة أبي مخنف! أو على الأقل هذا خطأ نبهته إليه وأصلحه في الرد الأخير لكنه لم ينسب الفضل إليَّ في تنبيهه لهذا الخطأ الكبير مثلما غمطني أيضاً حقوق (الروايات الثلاث الزائدة) التي لم يكن يعرفها والتي أوردتها عن ابـــن سبأ وأهديتها له بل أسمى عملي هذا (سفهاً وحمقاً) ! فلله دره ما أفهمه لتعريف السفه والحمق!

أما أبو مخنف فأنا أضعفه لكن العودة يريد تحميلي توثيقه[٥٨]! مع أنني إنما فضلته على سيف بن عمر فقط وتعقبت الذهبي الذي يرى أنهما متساويان في الضعف!.

وسواءً كانا متساويين في الضعف كما يرى الذهبي أو أن أبا مخنف أفضل لكنني أطرح الاثـــنين ولا أستحل الأخذ عنهما.

على أية حال : إذا كان العودة راجعاً لكلام الأئمة فأنا معه وإذا كان أبو مخنف شراً من (عمرو بن شمر) فقد نص الذهبي على أن (أبا مخنف من بابة سيف بن عمر)! وعلى هاتين المقدمتين يكون (سيف بن عمر شر من عمرو بن شمر) ! وأنا لا يهمني إن كان العودة يرى أن سيفاً أفضل من أبي مخنف لكـــن الذي يسوؤني ويسوء كل باحث هو عندما يلجأ العودة إلى (قص) ترجمة عمرو بن شمر وإلزاقهـــا في ترجمة (أبي مخنف) ! ونسبة ذلك إلى المصادر نفسها! وحذف كلمة (عمرو) من ســـياقات الجـــرح الخاصة به وإنـــزالها على أبي مخنف! وغير ذلك من العمليات التي لا يقوم بها إلا (محترف) ! ولولا أن رسالته كلها قائمة على أنواع مماثلة من هذه التحريفات والمغالطات لقلت أن هذا سبق قلم أو سرقة من كتاب لأحد زملائه! لكن العودة (عودنا) على هذا النمط من (التحقيقات الجميلة) !

وعندما يقول العودة أن الفيصل في هذا (كتب الجرح والتعديل) فهو غير صادق في هذا لأننا جربنـــا عليه هذه (الوعود) التي يذرها في عيون المغفلين! ولو كان صادقاً لاستوفى كلام أهل الجرح والتعديل في سيف بن عمر فإنه عقد في رسالته ص١٠٤ مبحثاً بعنوان (سيف بن عمر بين الجرح والتعديل) لم

---

(٥٨) وهذا التضعيف حسب أحكام قلة من أهل الحديث وسأقوم في المستقبل إن شاء الله بدراسة واسعة عن أبي مخنف ومروياته وقد أتوصل لتوثيقه ومخالفة هذه القلة من أهل الحديث خاصة وأنني وجدت الأخ الكريم الدكتور يحي اليحي قد تحامل على أبي مخنف كثيراً في كتابه (مرويات أبي مخنف) وقد وجدت له متابعات قوية في كثير من الأخبار التي ظن الأخ الكريم أنه انفرد بها، لكن على كل الأحوال ليس أبو مخنف في ضعف سيف بن عمر الذي انفرد بأخبار كبيرة الوزن لم يروها غيره مع مخالفتها لما صح من المرويات الصحيحة والمتواترة.

يذكر من المجرحين له إلا القلة وأهمل أقوال أبي زرعة وأبي داود ويعقوب بن سفيان والطبري والعقيلـــي وابن أبي حاتم والترمذي وابن السكن وابن عدي والدارقطني والحاكم والبرقاني وأبي منصـــور الصـــيرفي وابن نمير وابن عبد البر وابن الجوزي! ولا ريب أن إهمال مجموع كلام هؤلاء (المجرحين) لسيف بـــن عمر يعد (خيانة علمية) بكل المقاييس! لأن رسالته كلها قائمة على هذا الراوي (المبحوث) ! فلـــو أهمل واحداً أو اثنين لقلنا له عذره لكن إهمال أقوال ستة عشر عالماً من علماء الجرح والتعديل فهذا من أوضح الدلالات على الخيانة.

ويؤسفني أن بحث مرتضى العسكري (الإمامي) عن (عبد الله بن سبأ) أكثر إنصافاً ورجوعاً لهؤلاء العلماء من بحث العودة (السلفي السني) ! فنجد في بحث العسكري (الإمامي) أمانة علمية واســـتيفاء لأقوال المحدثين! بينما نجد في بحث العودة (السني) خيانة علمية وتحريفاً لأقوال المحدثين! وبعـــد هـــذا تقولون لماذا ترجعون لكتب الروافض والمستشرقين وتتركون بحوثنا؟! فهل اجتنبتم هذه الخيانات حـــتى نثق فيكم؟ هل زرعتم الثقة في قلوب محبي الحقيقة الذين تزعمون أنكم تحرصون عليهم؟! للأسف إن مثل هذه الأعمال الهزيلة والتحريفات الرخيصة ستسبب في انصراف الشباب إلى أبحاث المبتدعة والكفار! نعم ومن حقهم أن يفعلوا هذا ما دام أنهم يجدون شروط البحث العلمي متوفرة لدى هؤلاء أكثر من توفرها عند كثير من دارسي التاريخ عندنا!

وبعد هذا كله يقولون لماذا تنقدوننا؟! ويطالبوننا بنقد كتب المستشرقين والمبتدعة؟! وهـــم بهـــذا لا يقولونها حرصاً على رد كيد الأعداء! بقدر ما يريدون حماية (المهازل) من النقد! تلك المهـــازل الـــتي سببت في انصراف الباحثين إلى أعمال اليهود والنصارى والثقة بها وترك خيانات كثير مـــن البـــاحثين المسلمين وعدم النظر فيها! هذه هي المأساة الحقيقية المرة التي وصلنا إليها بسبب المجاملات (الوظيفيـــة) والوصول إلى المكاسب الوظيفية على جماجم الحقائق العلمية!

المقال العاشر:

العلماء بيني وبين العودة!

زعم العودة أنني (ألمز العلماء) ولا آخذ بأقوالهم كابن تيمية وابن العربي المالكي وهذا من العودة تضخيم لأمور يسيرة وهو نفسه رد قول ابن حبان في زندقة سيف بن عمر! ورد كل أقوال المحدثين الذين اتهموا سيفاً و لم يأبه بهم مطلقاً! ثم يأتي بعد ذلك ليحرف ملحوظاتي على بعض أقوال العلماء ليجعلها موبقات! ثم ضرب العودة مثالاً بذلك وقال أنني لم آخذ بقول الذهبي عندما قال: (إن سيف بن عمر من بابة أبي مخنف) ! فهل يوافقني العودة على الالتزام بقول الذهبي هذا وأن نساوي بين الرجلين؟! فالعودة كما قلت إنما يحتج ضدك بالأقوال التي يريد ثم يرفضها إذا شاء فهو بلا منهج لأن الرسالة قد أجيزت وأفلتت! وهو غير مستعد لبيان قصورها! ثم إن العودة نقل قولاً آخر للذهبي في سيف بن عمر وهو (إخباري عارف) و لم ينقل الأقوال للذهبي في سيف مثل (تركوه واتهم بالزندقة) و (متروك باتفاق) ! لأن العودة تعودنا منه أن يذكر ماله ويهمل ما عليه! وهذا منه ذكاء لا بأس به! لكن عيب هذا الذكاء أنه لا يدوم! ثم نجده بعد أن ذكر سابقاً أن الفيصل في الحكم بين الرجلين هو (كتب الجرح والتعديل) خشي أن أنقل له الأقوال المجرحة لسيف والتي تزيد أضعافاً عما قيل في أبي مخنف حاول أن يجد مخرجاً في (مقارنة الروايات) فقال : (وبالفعل فمن يقارن بين مرويات الرجلين يجد الفرق واضحاً) !

أقول : أنا أجزم أن العودة غير صادق في هذه الدعوى وليته يصدق ويبين لنا معايير المقارنة للنظر هل سيف أكذب أم أبو مخنف؟! أما إحالته على كتاب الدكتور يحي اليحيى فلا ريب أن رسالة الدكتور اليحيى من الرسائل القوية في هذا الباب –على ما فيها من قصور في استيفاء الشواهد لمرويات أبي مخنف- ثم رسالة اليحيى لم تكن في المقارنة بين الرجلين وإنما كانت في مقارنة روايات أبي مخنف مع الروايات الأخرى جملة وفي عصر الخلافة الراشدة فقط وسيف بحاجة إلى من يقارن رواياته مع الروايات الأخرى مثلما فعل الدكتور اليحيى مع أبي مخنف والدكتور العودة يحتمي الآن بالدكتور اليحيى بعد أن

سرق منه الأقوال في (عمرو بن شمر) وجعلها لأبي مخنف! ثم اعتذر في (المسلمون) عن هذه السرقة بأنها (خطأ غير مقصود) ! وهذا صحيح لولا أنه كرر السرقة في المقال المذكور بالمصادر وأرقام الصفحات مع التحريف أيضاً!

دائرة الإسلام ودائرة سيف بن عمر!

وحتى يدافع الدكتور العودة على طعون سيف في البدريين وغيرهم من الصالحين، ذهب ليسبقنا إلى هذا الاتهام لكنه وجهه لنا بدلاً من سيف فزعم أننا ننال من عثمان ومعاوية وأبي بكر وعمر! هكذا قدَّم العودة معاوية على أبي بكر وعمر! وهذا قد يدل دلالة يسيرة على الميل (السليماني) ! ثم إنا بعد هذا أترك للقارئ العودة إلى الصفحات التي أحال إليها العودة من مقالاتي أو من كتاب الرياض و لم ينقل النصوص! ولو نقل تلك النصوص لتبين الأمر، لكن من أساليب الدكتور التي يستخدمها أنه يلبسك التهمة ثم يحيل للمصدر من أعمالك الكتابية! لأنه يضمن أن أكثر القراء لن يرجعوا ولن يقارنوا! وعلى هذا سيصدقونه، ولو حاول القارئ أن يرجع فسيعلم أن الدكتور قد تعلم من سيف بن عمر كيف يروي ويتحدث و(يصدق) أيضاً!

أما ما نقله عني من (كراهية بعض الصحابة لبيعة أحد الخلفاء الراشدين) فهذا حق لكنني بينت أن هذه الكراهية من بعضهم ليست طعناً في خلافة أحد منهم والذي روى هذه الكراهية ليس أبو مخنف ولا سيف بن عمر وإنما البخاري ومسلم وأشباههما وعلى هذا فليتهم البخاري ومسلماً أولاً بأنهما أرادا الطعن في بيعة الخلفاء الراشدين ثم ليأتي بعد ذلك للمالكي ويتهمه!

أما أن يعارض العودة صحيح البخاري بكلام غير مسند للآجري! فهذا لا يفعله صغار الطلبة الذين يفرقون بين أسانيد البخاري الموصولة وآراء الآجري المقطوعة!

فأنا أتحدث من أسانيد صحيحة والعودة ينقل لي أقوالاً غير مسندة وبهذا يتبين منهجي ومنهج العودة! وأنا لا أعيب العودة في المكابرة من أجل الرسالة لكنني أعيبه حين يسمي هذا (ديناً) ويخرج الآخرين من (دائرة الدين) التي هي عنده (دائرة سيف بن عمر) فقط!.

اعتراف خطير!

اعترف ص١٠ بأنه إنما استفاد في (كل ما سجله على نصوص العلماء وآراءهم)!

إذن فهو هنا لا يعتمد على الإسناد وإنما على نصوص وآراء لبعض العلماء -و لم يذكر لنا أسماءهم! - ويجب على الدكتور يعرف أن هذه الأمة أمة إسناد كما قال ابن المبارك: (لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) ! صحيح أن الدكتور قد عمم بقوله (العلماء) و لم يقل بعض! وهذا عيب علمي شائع عند الدكتور فتجده ينسب لكل العلماء أقوالاً لأفراد منهم وأنا أستطيع أن أنقل له نصوصاً وأقوالاً لعلماء يخالفون ما ذهب إليه الدكتور! لكنني لن أسوقها إيماناً مني بأن الإسناد هو الحجة وليست أقوال أفراد من العلماء لأن أولئك العلماء المثبتين لدور ابن سبأ - مع قلتهم - لن يجدوا ما يدعم آراءهم إلا أكاذيب سيف بن عمر.

صحيح!

يقول العودة : (فالحق أبلج وإن أثير حوله من الغبار ما أثير فترة من الزمن والباطل سينكشف ولو زخرفه أصحابه بغرور القول)!

أقول : أنا متفق مع الدكتور في هذه الجملة حرفاً حرفاً وقد انقشع كثير من الغبار والحمد لله! كما أن بعض الزخارف قد بليت و لم يعد عند أصحابها من الألوان ما يجددها!

لا تعليق!

الدكتور يتهمني بأنني أريد (إبعاد (شبح) التهمة عني بتهمة الآخرين) ! ثم سرد مجموعة جيدة من الشتائم.

أقول : لا تعليق!

وذكر أن (الناس قد يفهمون من حدة النقد وتجاوز الناقد ضعف الحجة وغياب الدليل) وأنا أتفق معه في هذا أيضاً!

الذهبي وابن حجر هل ذكر ابن سبأ؟!

أخذ عليَّ العودة أنني كذبت! في زعمي بأن الذهبي وابن حجر لم يذكرا عبد الله بن سبأ في الفتنة بحرف واحد! وقال ونقل عني قولي : (ولذلك تكلم المحدثون والمؤرخون المتقدمون عن الفتنة و لم يذكروا عبد الله بن سبأ في الفتنة بحرف واحد) وأسقط إستثنائي في الموضوع نفسه عندما قلت (اللهم إلا من نقل عن سيف بن عمر) ! فنقل العودة كلامي محرفاً بدون هذا الاستثناء ثم بنى على هذا التحريف اتهامي بالكذب! فقد زعم إن هذه (فرية) وراح يفندها بذكر أقوال للآجري (٣٦٠هـ) والذهبي (٧٤٨هـ) وابن حجر (٨٥٢هـ) فيها ذكر لعبد الله بن سبأ وبعض أدواره في الفتنة ثم بنى على هذا كله ما شاء من شتم وتجريح واتهام للنيات وتحذيرهم من نقولات المالكي! وحقيقة أنا قد قلت في مقالات سابقة في صحيفة الرياض وفي صحيفة المسلمون أن الدكتور العودة لا يفهم الخطاب فيبني شاهقات المغالطات على تحريفات الأقوال! ثم إنتقدني في مقاله الأخير بأنني أبالغ في اتهامه بسوء الفهم وحقيقة أنا أستحي أحياناً أن أصف خصمي بالتحريف المتعمد! فاستبدلها بعبارة ألطف وأقول (أساء الفهم) ! مع أن الواقع قد يكون خلاف ذلك ومن النوع الأول (الأصلي) ! بمعنى قد يكون فهم المقصود لكنه تعمد تحريف الكلام! لكن العبارة الأولى (إساءة الفهم) ألطف! والدكتور العودة إذا كان قد حرف أو لم يفهم عنوان كتابي (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) فمن باب أولى ألا يفهم ما كتبته (داخل الكتاب) أو المقالات وأن يستحل تحريفها لأسباب لم تعد خافية!.

الدكتور والذهبي!

ذكر العودة أن الذهبي ذكر في تاريخ الإسلام (١٢٢،١٢٣/٢) أن ابن سبأ هو المهيج الفتنة بمصر وباذر الشقاق والنقمة ثم قال: (هذا فقط في تاريخ الإسلام؟)

أقول: أولاً الجزء الثاني من تاريخ الإسلام (الذي نسب إليه الدكتور) لم يذكر الذهبي عبد الله بن سبأ بحرف واحد سواءً عن سيف بن عمر أو غيره وإنما ذكره في الجزء الثالث المسمى (تاريخ الخلفاء الراشدين) في الصفحات ٤٣٣ وما بعدها نقلاً عن سيف بن عمر فقط! ولم نجد في الروايات الأخرى التي ساقها الذهبي (عن غير سيف) حرفاً واحداً عن ابن سبأ ومن شك فليرجع لإحالتي وإحالة الدكتور وينظر بنفسه، ثم الذهبي لم يصدق سيف بن عمر في نقله والدليل أن الذهبي لم يصدق سيفاً ما نقله عنه أنه لم يذكر ابن سبأ بحرف واحد في كتابه (العبر) الذي ألفه الذهبي من خياراته وليس بالنقول عن غيره! أما النقل فليس حجة على الناقل فناقل الكفر ليس بكافر وناقل الكذب ليس بكاذب! وعلى هذا فعمل الذهبي لو كان حجة لكان عمل الطبري أكثر حجة في نقل أخبار ابن سبأ عن طريق سيف بن عمر! لأن الطبري أقدم، والعودة من أولئك الذين يزعمون أنهم لا يعترفون بنقل الآخرين إلا بعد (التمحيص) ! لكنه إن نقل للناس ما يحب قوله ينقل بدون هذا (التمحيص) وعلى هذا فمشجب الذهبي قد سقط!

الدكتور وابن حجر

وقال الدكتور (أما ابن حجر فيكفينا منه القول عن ابن سبأ ودوره في الفتنة: وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ) ! ثم أحال للسان الميزان (٣٤٥/٣)

أقول: أولاً نحن نسلم بأن أخبار ابن سبأ مشهورة في التواريخ فهذا ليس موطن النزاع إنما موطن النزاع هو السؤال التالي : (هل كل مشهور صحيح أم لا؟!) وهل (المشهور عند الحافظ يعتبر صحيحاً أم لا؟).

أما الأولى: فالعودة نفسه يعلم أنه ليس كل مشهور صحيحاً فكم من حديث مشهور لكنه موضوع مكذوب وكم من حكم فقهي مشهور لكنه باطل وكم من خبر مشهور لكنه مكذوب!

ثانياً: أما القضية الثانية (عند ابن حجر) فصحيح أن الحافظ قال القول الذي نقله العودة لكن العودة لم ينقل بقية كلام الحافظ في ابن سبأ عندما قال : (ثم أخرج ابن عساكر من طريق سيف بن عمر التميمي في الفتوح له قصة طويلة لا يصح إسنادها)!

أقول: تلك القصة هي رسالة الدكتور العودة ! و لم يضف عليها الدكتور العودة إلا النقل القليل من بعض كتب الشيعة وبعض المستشرقين فيما يتعلق بعقائد ابن سبأ! فماذا يقول العودة بعد هذا؟!.

ثالثاً: ثم ذكر العودة أن ابن حجر (نقل في الفتح عن الاسفراييني خبر إحراق علي لطائفة السبئية وكبيرهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وابتدع ما ابتدع) !

أقول: أولاً : ابن حجر نقل قول الاسفراييني وقول الاسفراييني كان بلا إسناد (انظر الفتح ص٢٧٠) وسبق أن قلنا للعودة أن الأقوال التي لا تعتمد على مستند من الأسانيد ليست حجة.

ثانياً: ابن حجر كأنه يضعف قول الاسفراييني يظهر هذا من قول الحافظ: (وزعم أبو المظفر الاسفراييني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض...) فالحافظ يظهر من كلامه أنه لا يتبنى ما قاله الاسفراييني خاصة وأنه يخالف نص البخاري الذي يجعل المحرقين (مرتدين) ومرة يقول (زنادقة) وجاءت أسانيد ذكرها الحافظ في شرح معنى هؤلاء الزنادقة بأنهم (كانوا يعبدون الأصنام في السر) وانهم (ارتدوا عن الإسلام) و لم يورد إسناداً بأنهم (سبئية) على افتراض صحة نسبة (السبئية) إلى (ابن سبأ) !.

الدكتور هل يؤمن برجعة ابن سبأ؟!

ثالثاً: كلام العودة السابق فيه ما يفيد أن علياً حرق عبد الله بن سبأ عندما قال: (إحراق علي لطائفة السبئية وكبيرهم عبد الله بن سبأ) ! أليس كذلك؟! إذن فأسمعوا المفاجأة ألا وهي ما ذكره الدكتور العودة نفسه في صحيفة الرياض يوم ١٤١٨/٣/٢٧هـ إذ ذكر رواية سماك وفيها أن علياً قال في ابن سبأ : (لا يساكنني ببلد أنا فيه) وأنه سير عبد الله بن سبأ إلى المدائن؟! وذكر في المقال نفسه في رواية جابر بن عبد الله أنه سيره إلى المدائن! وذكر في مقال المسلمون يوم ١٤١٨/٥/١٨هـ أن عبد الله بن

سبأ هرب من علي! وذكر في رسالته ص٢١٣،٢٠٩ أنه (لما قتل علي زعم ابن سبأ أنه لم يمت...) إذن:

فعبد الله بن سبأ عند الدكتور قد حرقه علي!

وهو عند الدكتور لم يمت إلا بعد علي!

وهو عنده أيضاً قد هرب من علي!

وهو عنده قد سيره علي إلى المدائن!

ثم نقل من تنقيح المقال في رسالته ص٢١٧ (أن علياً حرق ابن سبأ) فهذا تناقض واضح أو إيمان بالرجعة! ولكن ليس رجعة علي وإنما رجعة عبد الله بن سبأ نفسه! وهذه العقائد الفاسدة استلزمها الاعتماد على الروايات المكذوبة وعلى نفسها جنت براقش!.

الدكتور والآجري!

أما ما نقله العودة عن الآجري في أن عبد الله بن سبأ كان سبب مقتل عثمان فهذا قول مجرد عن الإسناد ومعلوم أن الآجري متأخر عن سيف بن عمر بنحو مائتي سنة إضافة إلى أنه من غلاة الحنابلة وفي الغلاة نصب، وقد نقل لنا رواية سيف مختصرة بلا إسناد وعلى هذا فليس الحجة إلا فيما رواه من غير طريق سيف و لم يرو لنا في هذا شيئاً! وعلى هذا فمشجب الآجرى قد سقط أيضاً.

أما قوله بعد هذا (ومن رجع إلى بقية كتب العلم وجد مثل ذلك أو قريباً منه) فكلام من لا يعرف كتب أهل العلم!. وسأكتب مستقبلاً حلقات عن ابن سبأ عند أهل العلم ليعرف الناس من مِن أهل العلم ذكره ومن منهم أهمله!

أما قوله : (أين الأمانة العلمية التي يدعيها المالكي)

فأقول : هي موجودة عند النقاط الأربع (علامة الحذف) التي جعلها الدكتور مكان قولي: (اللهم إلا من نقل عن سيف بن عمر!)، وأقول للدكتور: ارجع واكتب هذه الجملة المحذوفة! مكـــان النقـــاط الأربع الموضوعة وستعرف أين هي أمانتي العلمية!

وحتى تتضح القضية أقول : عندما أقرر بأن القعقاع بن عمرو مثلاً لم يذكروه بحرف واحد فإن معناه أن المؤرخين بعد سيف لم يذكروه بحرف واحد وهذا القول لا ينقضه نقل المتأخرين عـــن ســـيف لأن نقلهم عن سيف خارج المراد.

بمعنى لو قلت أن ابن حجر والذهبي لم يذكرا القعقاع بحرف واحد فإن المفترض في القارئ العـــادي فضلاً عن المختص أن يفهم أن قولي هذا لا ينقضه ما ينقلانه عن سيف بن عمر وأن (ذكرهما) للقعقاع يجب أن يكون استقلالاً (بأسانيد أخرى) .

هذا قصدي عندما أقول: (لم يذكره فلان وفلان بحرف واحد) يعني من غير طريق سيف لكن مـــع هذا كله قد استثنيت في الموضع نفسه الذي نقل منه سليمان العودة فسردت مجموعـــة مـــن العلمـــاء والمحدثين والمؤرخين وذكرت أنهم لم يذكروا عبد الله بن سبأ بحرف واحد ثم استثنيت وقلت (اللهم إلا من نقل عن سيف بن عمر) لكن العودة حذف هذا الاستثناء ووضع مكانه أربع نقاط! ليسهل عليـــه بعد هذا أن يتهمني بأنني (مفتري، خائن علمياً، جريء، يكذب علـــى العلمـــاء،...) الخ قاموســـه (الدعوي) النظيف!

على أية حال: ليس موطن النـــزاع هل ابن حجر أو الذهبي أو من قبلهما كالآجري قد ذكروا عبد الله بن سبأ أو لم يذكروه! إنما موطن النـــزاع هل ذكروا دور عبد الله بن سبأ في الفتنة بأسانيد لـــيس فيها سيف بن عمر أم نقلوا عن سيف بن عمر؟!

هذا موطن النـــزاع الذي يريد العودة أن نخرج منه إلى ساحات أخرى لا تخدم الموضـــوع الـــذي اختلفنا فيه ولا تقدم ولا تؤخر في الموضوع شيئاً.

أعود وأقول : قد رأيتم أنني استثنيت من نقل (عن سيف بن عمر) فمعنى هذا أن هؤلاء الأعلام لم يذكروا دوراً لعبد الله بن سبأ في الفتنة استقلالاً عن سيف بن عمر وقد يكون خطأي أنني لم أكرر كلمة (اللهم إلا من نقل عن سيف بن عمر) عند كل اسم من أسماء هؤلاء العلماء!!.

وفي ظني أنه من مفهوم الخطاب يفيد أن هذه الاستثناء (المحذوف) شامل للمجموع وليس مقتصراً على اسم دون آخر.

وإذا أراد العودة مراجعة دلالة هذا الخطاب عند أهل اللغة فليفعل.

المقال الحادي عشر:

عائل مستكبر!

الكبر مذموم في الغني وهو في الفقير أشد ذماً والدكتور العودة يحذر (أنصاف المثقفين) من أن يغتروا بكتاباتي! وهو بهذا التحذير يكون قد أحرج نفسه من (أنصاف المثقفين)[٥٩]! ولعله صادق في هذا لكن من الجهة الأخرى! وقد أورد هذه اللفظة في سياق الذم اتباعاً للذم الشائع! مع أن العاقل منا يتمنى وأنه قد حاز على (نصف مثقف) ! فنصف الثقافة خير كثير لا يدركه إلا الذي يجهل معنى (الثقافة) !

الكذب!

أما الكذب على العلماء فلا أدري هل كذب على العلماء من يقول أنهم لم يذكروا دور ابن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر أم الذي ذكر أنهم (أجمعوا) على ذكر دوره في الفتنة! اللهم غفراً!.

ابن الزبير بيني وبين الدكتور!

عقد الدكتور باباً بعنوان (النيل من الصحابة) ! لتجييش العواطف واستثارة الغوغاء، ثم لما تنظر أدلته في هذا الباب تجد أن أكبر ما يقال عنها أنها محل اجتهاد وسترون أدلته على هذا العنوان (الجماهيري!) وستعرفون من منا أقرب إلى النيل من الصحابة.

ثم ذكر الدكتور أنني حشرت عبد الله بن الزبير فيمن قاتل على الملك وتساءل عن (مستند المالكي في هذه التهمة) ! وقد صدق الدكتور العودة في قوله هذا.

أما مستندي في القول السابق فهو ما ذكره الصحابي أبو برزة الأسلمي في صحيح البخاري (كتاب الفتن حديث ٦٥٧٩) عندما قال أبو برزة رضي الله عنه : (إني احتسبت عند الله أني ساخطاً على

---

[٥٩] ليتني أنا والعودة من (أنصاف المثقفين)!

أحياء قريش..) إلى أن قال : (وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم إن ذاك الذي بالشام والله إن يقاتـــل إلا على الدنيا وإن هؤلاء الذين بين أظهركم والله إن يقاتلون إلا على الدنيا وإن ذاك الذي بمكـــة والله إن يقاتل إلا على الدنيا) اهـــ.

أقول : إذن فهذا مستندي يا دكتور أما أبو برزة فيقصد بالذي في الشام مروان بن الحكم ويقصد بـــ (هؤلاء الذين بين أظهركم) الخوارج ويقصد بـــ (الذي بمكة) عبد الله بن الزبير يدل على ذلك بداية القصة في الرواية نفسها في صحيح البخاري عندما قال : (لما كان ابن زياد ومروان بالشام وثب ابـــن الزبير بمكة ووثب القراء بالبصرة..) وقال الحافظ ابن حجر في تفسير الرواية (هذا يدل على أن أبا برزة كان يرى الانعزال في الفتنة وترك الدخول في شيء من قتال المسلمين ولا سيما إذا كان في طلب الملك) انظر الفتح (١٣/٧٣) .

إذن فأنا أخذت الفائدة من صحيح البخاري وتفسير ابن حجر أيضاً وقبل ذلك من الصحابي أبي برزة الأسلمي الذي عايش تلك الأحداث فإذا كان الدكتور العودة يتهمني بالنيل من الصحابة بسبب قـــولي السابق فليتهم أبا برزة الأسلمي (الصحابي) ثم ليثني بالبخاري ثانياً ثم ليثلث بالحافظ ابن حجر ثم ليربع بالمالكي!. أما أن يأتي لي وحدي فهذا ليس من الإنصاف!

أما ما نقله عن ابن عباس رضي الله عنه بأنه مدح ابن الزبير وقال : (أبوه الزبير وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفيه..) فهذا صحيح أنه في فضل ابن الزبير لكن ليس مانعاً من أن يقاتل هذا الفاضل على الملك.

وكذلك مدح عمر لابن الزبير عند موته فهذا أيضاً لا علاقة له بالموضوع فليس من شروط الرجـــل الصالح ألا تقع منه هفوة أو شهوة! ثم إن ابن عمر كان يرى أن القتال في عهد ابن الزبير إنما (ليكون الدين لغير الله) صحيح البخاري (٨/٣٢) ! وهذا رأي شديد من ابن عمر لأن ابن الزبير وأتباعه ارفع وأتقى من أن يقاتلوا حتى يكون الملك لغير الله! لكن الاجتهاد يخطئ يصيب.

وقد كان ابن عمر معتزلاً لابن الزبير وبني أمية وكان يقول : (كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كقتالهم على الملك) الفتح (١٣/٤٩) .

وقال ابن عباس : (إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين وإني والله لا أحله أبداً) يقصد الحرم انظر الفتح (١٧٧/٨) .

أقول: هذه النصوص من أبي برزة الأسلمي وابن عباس وابن عمر مع صلاحيتها حجة لي إلا أنـــني لا أتعصب للأمور المشتبهة فضلاً عن الباطلة وأنا راجع عن قولي السابق لبحث المسألة ودراستها لأسباب غير التي ذكرها الدكتور وذلك لأن هذه الآثار عندي فيها وقفات وتأملات سأعلنها في حينها.

وعلى أية حال: أنا راجع عن قولي في ابن الزبير أنه قاتل على الملك حتى أبحث المسألة واستغفر الله إن كنت أخطأت في حقه وأشكر الأخ سليمان العودة والأخ سليمان العلوان أيضاً فقد أبلغني بهذه الملحوظة أيضاً عبر الهاتف مع أن مستندي فيها لم يكن رواية ضعيفة ولا موضوعة وإنما صحيح البخاري لكـــنني رجعت للأمور السابق شرحها.

وأقول بعد هذا للدكتور سليمان مع شكري لك على هذه الملحوظة إلا أنه يبدو أن ملاحظتك هذه ليست لله لأنك تثني على محب الدين الخطيب كثيراً وتدافع عنه كثيراً مع أنه قال في تعليقه على العواصم ص٢٢٢ : (كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه)!! ثم ساق رواية فيها قول معاوية لابن الزبير (إن الشبح والحرص لن يدعاك حتى يدخلاك مدخلا ضيقاً) ! وقال ص٢٢٧ (فلما خلا الجـــو لابن الزبير بموت معاوية صار دعاته يذيعون في الحجاز الأكاذيب على يزيد!) فهلا تنكر على الخطيب يا دكتور! واتهم محب الدين الخطيب ابن الزبير بالقتال على الدنيا عندما قـــال ص٢٣٠ (ولم يشـــجع الحسين على الخروج إلا ابن الزبير لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه ما دام الحسين معهم)! فإذا كان الدكتور صادقا في الذب عن ابن الزبير رضي الله عنه فليتهم صاحبه محب الدين الخطيب! لكنه لن يفعل لأن محب الدين الخطيب من النواصب، والنواصب لهم عند غلاة السلفية حرمة عظيمة!

أما ما ذكرت من تناقضي بين (طلب الدفاع عن ابن الزبير) واتهامه (بالقتال على الملك) فالدفاع الذي أنادي به لا يقتضي رد كل تهمة أو خطأ وقع فيه ابن الزبير رحمه الله.

فنحن ندافع عن الخلفاء الراشدين وغيرهم لكن لا يعني هذا أننا نقول بعصمتهم وكذلك ابن الـــزبير رضي الله عن الجميع وإذا استبعدنا أن يقاتل أبو بكر وعلي على الدنيا فقد لا نستطيع أن نســـتبعد أن

يقاتل عليها معاوية وابن الزبير –مع الفرق بين الرجلين– فالقضية تختلف باختلاف الصحابي نفسه فليس كل الصحابة في مرتبة واحدة من هذا السمو ومن زعم ذلك فقد جهل وأسرف في القول والمستندات على قولي هذا كثيرة لا أستطيع سردها هنا ولن نستفيد من دراسة التاريخ إذا كنا نحرف حقائقه ونعجنه كيف نشاء ليصبح تاريخ ملائكة وليس تاريخ بشر وهذا لا يعني أننا نتجاوز الأحاديث والروايات الصحيحة أو المقبولة إلى الضعيفة والموضوعة فالأمر بين إفراط المرجئة وتفريط الخوارج والشيعة والنواصب!.

المبتدعة مرة أخرى!

يرى الدكتور العودة أن ثناء السني على دراسة قام بها شيعي أو مستشرق هوىً مع ذلك الشيعي أو المستشرق؟! فلذلك يأخذ عليَّ لماذا أثنيت على دراسة مرتضى العسكري وهو إمامي وأنني نقدت بعض الرسائل (السنية) ! وطريقة الدكتور هذه تشبه المثل القائل (الحسن والحسين بنات معاوية!) فهو لم يبين لماذا أثنيت (مجملاً وليس تفصيلاً) على دراسة العسكري وأنها أفضل من دراسة الدكتور العودة (السني) بمراتب كثيرة وهو لم يبين لماذا نقدت بعض الدراسات عند المسلمين! فتراه يخلط ولا يبين الأسباب ومعنى هذا لو أن مسلماً يتحسر ويقول : (أن الكفار فيهم أمانة ليست في المسلمين) ! فهذا معناه عند الدكتور العودة أن هذا المسلم مع (الكفار ضد المسلمين) !

نعم يجب أن نثني على الدراسات القوية حتى لو قام بها الكفار فضلاً عن المبتدعة ويجب أن ننقد الدراسات الهزيلة حتى لو قام بها أقرب الناس إلينا وأكثرهم صلاحا وفضلاً، وبدون هذا المنهج لن نستطيع النهوض حضاريا لأن (الثقافة لب الحضارة) وإذا بقينا نجامل بعضنا بعضاً ويثني بعضنا على تخليطات بعض فلن نقدم للمعرفة الإنسانية والإسلامية شيئاً وما أضر الإسلام مثل هذه الإستعداءات والتشويهات من أبنائه الذين يقدمون الإسلام في صورة مشوهة كما يفعل الدكتور هنا فهو لا يجيز أن نثني إلا على رسائلنا الهزيلة فقط حتى تستمر المهازل أطول فترة ممكنة!.

سامحك الله يا دكتور فالإسلام أوسع وأنصف مما تتصور فمدح الآخرين -ولو كانوا كفاراً- بما هو فيهم من (الإنصاف) هو منهج إسلامي أصيل.

رواية المبتدع!

أما رواية المبتدع التي ذكر الدكتور أنها لا تقبل إذا أيدت بدعة الراوي فهذا القول الذي قال به الدكتور هو أحد القولين في المسألة وأول من قال به هو مبتدع ناصبي وهو أبو إسحاق الجوزجاني فقد قال هذا القول ليرد به أحاديث ثقات أهل الكوفة في فضل علي فقول الجوزجاني هذا مردود بمنهجه لأنه يؤيد بدعته في الانحراف عن علي! وقول الجوزجاني السابق لم يكن عليه العلماء المتقدمون كالبخاري ومسلم ومن قبلهما فالدائرة عندهم هي دائرة الثقة ولذلك نجدهم يروون للمبتدع الثقة ما يؤيد بدعته ما دام أنه ثقة، ثم الدكتور ينقل عن سيف بن عمر (الناصبي) ما يؤيد بدعته! فينقل عنه الطعون في بيعة علي بن أبي طالب ونجد الدكتور في رسالته ص٩٣ يذكر (عن سيف) أن عمار بن ياسر من الذين استمالهم عبد الله بن سبأ بمصر! فالدكتور يؤمن بأن عمار بن ياسر من تلاميذ عبد الله بن سبأ! وهذا طعن في عمار بن ياسر وفي علي بن أبي طالب أيضاً لأن عمار بن ياسر من كبار مناصريه!.

وقد سبق ذكر بعض الأخبار المنكرة التي انفرد بها سيف بن عمر والتي يقول بها موثقوه! وفي تلك الأخبار أكبر الطعون في الصحابة وبالباطل.

فالدكتور يجب أن يكون آخر من يتكلم ضد الذين يزعم أنهم (لا يأخذون بروايات المبتدعة) ما دام يوثق سيف بن عمر الناصبي في تلك الأخبار الطاعنة في علي بن أبي طالب ومناصريه؟!

أما ما ذكره من رد رواية المبتدع إذا وافقت بدعته فهذه مسألة كبيرة جداً لا يستطيع بعض المحدثين تناولها فضلاً عن أصحاب سيف بن عمر! فلذلك أجدني مؤثراً للسكوت هنا لأتكلم فيها مع مجتهدي أهل الحديث وليس مقلديهم فضلاً عن المحتجين بالزنادقة الكذابين فهؤلاء لن يفهموا كلامي ولن يرجعوا لمعرفة أول من اشترط ألا تؤيد رواية المبتدع الثقة بدعته!.

كتاب بيعة علي

أما ما ذكره الدكتور من أنه لم ينسب إلى كتاب (بيعة علي) شيئاً وإنما ينسب لكتاب الرياض فقط فهذا صحيح وقد وهمت في ذكر كتاب بيعة علي في الكتب التي ينسب إليها الدكتور كلامي والخطب يسير.

المقال الثاني عشر:

أوجه التشابه بين العودة وسيف بن عمر!

اتهمني الدكتور كما اتهمته بالخروج عن الموضوع الأساسي فالموضوع الأساسي عنده أن أخبار ابـــن سبأ جاءت من غير طريق سيف بن عمر! والموضوع الأساسي عندي أن (دور ابن سبأ في الفتنـــة) لم يأت إلا من روايات سيف بن عمر! ولما قلت له أن موضوعه ليس محل النـــــزاع، وأن عنـــدي مـــن الروايات ما يزيد عما أورده امتعض كثيراً لأنه ظهر في حجمه الطبيعي!و لم يوافق وأصر على التشـــبث بقضية سهلة ليست محل اختلاف فلماذا يريد إجبارنا على أن أختلف معه في قضية أنا أوافقه عليها!

فقضيتي ليست في ذكر ابن سبأ من طريق سيف ولو كانت كذلك لما استطعت أن أزيـــد للـــدكتور روايات لم يذكرها و لم يعلم بها! تلك الروايات التي اختلسها وأثبت بعضها في مقالاتـــه الجديـــدة و لم ينسبها إليَّ! وهذه عادة سيف بن عمر نفسه! فإنه يلجأ إلى روايات مشهورة وينسبها لنفسه ويزيد عليها كذباً محبوباً! والغريب أن أكثر سمات سيف بن عمر من الكذب وتحريف الحقائق والدفاع عن الفســقة والظلمة والهجوم على معارضيهم من كبار الصحابة وصالحي التابعين مع اللجوء إلى الروايات المشهورة مع تحريفها بالآراء الناصبية انتقلت في موثقيه أيضاً من دارسي التاريخ المعاصرين كهذا الـــدكتور! وفي العلم أسرار عجيبة!.

على أية حال : إن كان الدكتور يرى أن الموضوع الأساسي هو ورود ذكر ابن سبأ من غير طريـــق سيف بن عمر فقد انتصر انتصاراً عظيماً وأعترف له به! وإن كان الموضوع الأساسي هو أن دور ابـــن سبأ في الفتنة وهو (رسالته للماجستير) من طريق راوٍ كذاب زنديق فقد خسر المعركة بوضوح!.

وأنا أطالب الأخوة المتابعين أن يعودوا لكتاب (الرياض = نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) الذي ألفته قبل ردود الدكتور العودة وسيجدون فيها أنني أنفي دور ابن سبأ في الفتنة وأزعم أن هذا الدور كله من طريق سيف بن عمر فقط ولا زلت على هذا الرأي لكن الدكتور يجبرنا أن نكرر ونكرر!.

والغريب أن الدكتور بدلاً من أن يتهم نفسه بالكذب وتزوير كلام الخصم نجده يحمل الخصم هـذه العيوب وهذا إنصاف لم نعهده من قبل!.

وقد تبين لي أن الدكتور لا يفهم اللغة نفسها ويبني على سوء الفهم لها نتائج كبيرة من شتم الآخـر وذمه ونقل عني أنني قلت: (أن سيفاً انفرد برواية أخبار ابن سبأ) ونسب هذا لكتاب الرياض وحـدد الصفحة فقال (ص٢٦٠) ! مع أن العبارة الموجودة هناك هي كالتالي : (ولم يجرؤ الفقيهي أن يقول إن سيفاً أختلق دور عبد الله بن سبأ في الفتنة مع أن سيفاً قد انفرد برواية أخبار ابن سبأ وجعلـه سـبب التنازع) !

أقول: هل تفهمون من كلامي السابق الذي بتره الدكتور (الأمين!) أنني أقول بانفراد سيف برواية أخبار ابن سبأ مطلقاً أم أن كلامي على دوره وأخباره في الفتنة فقط! لاحظوا الكلمتين (في الفتنة) و (سبب التنازع) ! اللتين حذفهما الدكتور! وعلى أية حال فالأسانيد – على قلتها ومحدودية أخبارها – تجعلنا نتوقف في نفي أو إثبات وجود عبد الله بن سبأ إلا بعد البحث والتروي!

ابن تيمية والدكتور!

ذكر الدكتور أن هناك أسئلة مهمة لم أعرج عليها في مقالات سابقة وقـد أعادهـا في (محاكمتـه العادلة) ! بقوله (لماذا (لمز) ابن تيمية وكتابه منهاج السنة؟!)[٦٠]

أقول : أنا أرد على سؤال الدكتور بعدة أسئلة وهي : لماذا نجد الدكتور يلعن علي بن أبي طالـب في خطبه التي يخطبها في مساجد بريدة ويلعن عمار بن ياسر في رسالته؟! فإذا أجاب الدكتور علـى هـذه الأسئلة فأنا أستطيع الجواب على سؤاله السابق لأن إجابتي أنا والدكتور ستكون واحدة!

نعم من العيب أن تتهم خصمك بتهمة باطلة ثم تسأله لماذا فعلها! فهذا ظلم مضـاعف لأن التهمـة أصلاً لم تثبت حتى نسأل الخصم عن سبب ارتكابها! وسؤال الدكتور يشبه الأسئلة التمثيلية التي يقولهـا

---

[٦٠] أنا لا أنكر أنني نقدت ابن تيمية وكتابه منهاج السنة لما في الكتاب من مغالطات وأخطاء، لكن هذا نقد وليس (لمزاً) (اللمز) كلمة توحي بالإساءة بلا دليل. ورأيي اليوم في ابن تيمية أكثر تحققاً من تلك الأيام.

المحققون مع أصحاب الجرائم في المسلسلات التلفزيونية فهم يسألون المتهم: لماذا ارتكبت هذه الجريمة! – قبل أن يتأكدوا من ارتكابه لها– يفعلون هذا حتى يشعرونه بأنهم واثقون من أقوالهم! وأنا هنا رددت على الدكتور بأسئلة وأستطيع أن أجعلها أكثر ما دامت بلا ضوابط ولا عقل وللأسف أن أسئلة الدكتور من هذا النوع الذي يهدف إلى تشويه صورة الآخر.

أما تخطئة ابن تيمية أو نقد بعض كتبه نقداً علمياً فهذا لو حصل فلا يضر ابن تيمية ولا يضر الناقد لأننا لا نعتقد العصمة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان الدكتور يرى عصمة ابن تيمية أو الذهبي أو ابن العربي أو غيرهم فليراجع عقيدته[٦١] فلسنا مسؤولين عن إصلاحها وإذا كان لا يراها لهم وهذا الظن به، فنحن متفقون في جواز خطأ العالم العظيم وقد يكتشف هذا الخطأ من هو أقل منه فضلاً وعلما فالأمر يسير أراد الدكتور تضخيمه لأتباع كل ناعق وأنا أعذر الدكتور إلى حد ما (في هذه الاستثارة) من جهتين :

الأولى : أنه نتيجة لبرمجة سابقة مبنية على استثارة الآخرين واستعدائهم ضد الخصم.

الثانية : أن وضع رسالته لم يحفظ توازنه ونراه يتشبث بأي شيء يخرجنا من الموضوع الأساسي مع أنه ينعي علينا الخروج عن الموضوع ويتهمنا بـ (المراوغة)!

الدكتور وكتاب العواصم!

أما كتاب العواصم من القواصم لابن العربي مع حواشي محب الدين الخطيب فلا ريب أن فيه بعض الفوائد لكن فيه أيضاً تعصبات باردة وآراء (ناصبية) قبيحة أظنها لا تخفى على الدكتور ولا أريد استعراضها هنا ونقدها لأن هذا أمر يطول، بل الأصل في الكتاب هو النصب، فابن العربي المالكي رحمه الله هو الذي ذكر في تفسير قوله تعالى (خافضة رافعة) بأن من معانيها (خافضة لفاطمة رافعة

[٦١] حسب التعبير الشائع وإلا فاللفظ الأصح أن يقال (إيمانه) فالإيمان هو اللفظ الشرعي أما العقيدة فلفظ محدث ابتلي به المسلمون.

لعائشة(٦٢)! وهو القائل (قتل الحسين بسيف جده)! وأما الخطيب صاحب الحواشي فنصبه ظاهر، وطعونه في فاطمة الزهراء والحسين وابن الزبير أكثر من أن تحصر.

الدكتور وطه حسين!

ثم سألني الدكتور سؤالا وهو : (كيف تعتبر طه حسين منصفاً في بعض القضايا أكثر من المؤرخين الإسلاميين) ؟!

أقول : ليس طه حسين وحده الذي أنصف في قضايا لم ينصف فيها الدكتور! فهناك كفار أصليون أنصفوا في قضايا تاريخية بحتة لم نجد هذا الإنصاف عند الدكتور! فإذا كان الكافر من المستشرقين قد ينصف في قضايا أكثر من بعض - وأقول بعض - المؤرخين الإسلاميين فإنصاف المسلم المتأثر بالغرب من باب أولى وأولى فما الغريب في الأمر؟!

الذهبي وأبو مخنف!

ويأخذ عليَّ الدكتور أنني لم أتقيد بقول الذهبي في أبي مخنف (إخباري تالف) مع أن الدكتور لم يتقيد بقول الذهبي في سيف: (تركوه واتهم بالزندقة)!. فهل يوافقني الدكتور على التقيد بأقوال الذهبي في الاثنين واطراح رواياتهما؟ أم أن الازدواجية قد تأصلت عندنا حتى صارت ديناً ندين به؟!

الرصد والمتابعة!

طالب الدكتور برصدي ومتابعتي! ولا أدري بأية لغة يتحدث الدكتور!!

---

(٦٢) وقد رد عليه أحد علماء الغماريين المغاربة برسالة كاملة يبطل فيها هذا التفسير الذي يدل على الانحراف الواضح عن أهل البيت، لكن أصحابنا من غلاة السلفية النواصب قد تركوا أهل البيت لغلاة الشيعة ليدافعوا عنهم واكتفوا بالدفاع عن معاوية ويزيد والحجاج!

المراجعات!

كنت قد كتبت مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان (مراجعات) تراجعت فيه عن بعض الأخطاء التي اكتشفتها بنفسي أو نبهني إليها بعض الأخوة لكن الدكتور استغرب أن تلك القضايا شكلية وكأنه يريد أن أجن وأتراجع إلى إثبات دور ابن سبأ في الفتنة! أو توثيق الزنادقة! وهذا صعب فللتراجع حدود!

ونجد الدكتور يستعجل عليَّ كذلك في إخراج الملحوظات على طه حسين ومرتضى العسكري والدكتور عبد العزيز الهلابي لأن هؤلاء نفوا وجود عبد الله بن سبأ الذي يثبت الدكتور كامل أدواره! وصحيح أن لي ملحوظات على تلك الدراسات لكن ليطمئن الدكتور فليس منها مخالفتهم في قضية (عبد الله بن سبأ)! حتى وإن كان عندي بعض التحفظ على جزمهم بنفي وجوده لكن الملحوظات في أشياء أخرى لن تفيد الدكتور جديداً، حتى ينقل منها وينسبها لنفسه كما فعل قبل ذلك في الروايات التي أوردها في ابن سبأ، وكما فعل مع الدكتور اليحيى ثم مع الدكتور فارس الجميل!!.

وأما استبطاء الدكتور لإخراج تلك الملحوظات فأرجو أن يقطع الأمل في إخراجها لأنها ستتأخر كثيراً لأنني وجدت الدكتور لم يلتفت إلي المراجعات إلا من باب السرقة أو إثبات التناقض بين القول السابق والقول الجديد! ثم أساءة فهم ما تبقى منها واعتبارها منقصة ومذمة! بدلاً من أن يعتبرها دلالة على الإنصاف والرجوع إلى الحق! وفي ظني لو كان تلاميذ الشافعي أمثال الدكتور لما استطاع أن يرجع عن مسألة واحدة! ولما كان عنده مذهب قديم ومذهب جديد فالدكتور وأمثاله للأسف أنهم لسوء تعليمهم من الذين يذكون التعصب للآراء بدلاً من تشجيعهم للإنصاف والعودة إلى الحق.

أنا سأشغل نفسي بإخراج المزيد من البحوث التي تهم الدكتور كثيراً! بدلاً من التنقيب عن الأخطاء (اليسيرة) التي وقع فيها غيره!.

المقال الثالث عشر:

المباهلة بيني وبين الدكتور!

طلب الدكتور المباهلة في موضوعات نقلها من (علي رضا) تدور حول الصحابة وابن تيمية والعقيدة السلفية ومنهج السلف.

وأنا كنت قد طلبت من علي رضا التباهل في فرية افتراها عليَّ فانتقل علي رضا من تلك القضية إلى هذه القضايا وشتت الموضوع الأساسي فإذا كان الأمر قد خرج من قضية خاصة إلى قضايا الدين العامة فمن حقي أن أطلب التباهل في أعظم قضايا الدين ولا ريب أن نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث الصحيحة هي الأولى بأن نتباهل حولها ولا أظن الدكتور العودة والأخ علي رضا يفضلان كلام ابن تيمية على كلام الله ورسوله ولا أظنهما يجهلان أن بعض الصحابة كالوليد بن عقبة والحكم بن أبي العاص وقاتل عمار فسقه لا يجوز التباهل على محبتهم إنما يجب تقديم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وهؤلاء قد طعن في بعضهم سيف بن عمر وتبعه الدكتور العودة كما أن صاحبه علي رضا قد طعن في أحد الرضوانيين وهو عبد الرحمن بن عديس البلوي وجعله مارقاً كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتباهل في الصحابة ليس من مصلحة الدكتور ولا صاحبه!.

أما العقيدة السلفية فرغم أنها كلمة عامة يدعيها المتخاصمون ويتشاتمون بها، ورغم أن هناك أكثر من سلفية، إلا أننا موافقون على التباهل على ما اتفق عليه السلف وليس على ما اختلفوا فيه فلا يجوز – مثلاً – أن نتباهل في وجوب ذم أبي حنيفة! بحجة أن بعض السلف كان يذمه! ولا التباهل في التجسيم أو النصب! ولا التباهل على استحباب لعن علي بن أبي طالب على المنابر! وهذه الأمور قد فعلها (بعض السلف) لكن لم تكن إجماعاً منهم فلا يجوز للدكتور ولا لعلي رضا أن يجبراني مثلاً على لعن علي بن أبي طال بحجة أن بعض السلف أمثال مروان بن الحكم وحريز بن عثمان وغيرهم قد فعلوه! لأن غيرهما من

السلف الصالح قد عارض هذا ورآه بدعة! وبعض السلف قد ذم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم، فعندما نختلف في مثل هذه القضية تبعاً لاختلاف (بعض السلف) فلابد أن نرجـع عندئـذ للنصوص الشرعية فإذا كانت تؤيد لعن علي مثلاً وتدعو إليه فأنا معهم في ذلك! وإذا كانت تنهى عنـه فيجب أن يستجيبا ويحرما ذلك حتى وإن فعله بعض السلف!.

إذن فكلمة (السلف) كلمة واسعة لا بد من تحديدها واشتراط موافقتها للكتاب والسنة فإذا وافـق الدكتور العودة والأستاذ علي رضا أن نتباهل في نصرة العقيدة السلفية التي دلـت النصـوص عليهـا النصوص الشرعية فأهلاً وسهلاً، والكلام في منهج السلف مثل الكلام في عقيدة السلف أنا معهـم في التباهل فيه بالشروط السابقة.

وما دام أن الأمور التي ذكرها العودة وعلي رضا راجعة إلى الكتاب والسنة فلماذا لا نبدأ بالتباهـل حول الكتاب والسنة أولاً؟!

فنجعل لعنة الله وغضبه على من كان في قلبه دخن على النصوص الشرعية الصحيحة!

وعلى من رام تأويلها بغير معانيها!

وعلى من تركها واستبدلها بأقوال الرجال

وعلى من لم يعتقد معانيها

ثم بعد هذه المباهلة العامة نأتي للتفصيل فنذكر النصوص العامـة والخاصـة القطعيـة والمتعارضـة ونستعرض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كآية البغي وحديث عمار وحديث الحوأب وحـديث الزبير وحديث الخوارج وأحاديث الفتن ونحوها ونفسرها التفسير الصحيح ثم نرى مَن مِن السلف أصاب هذا التفسير ومن منهم مالت به الأهواء ثم بعد ذلك نتباهل على الإيمان بها وبمدلولها وموالاة المـؤمنين والبراءة من ميل المائلين عن تلك النصوص! وهكذا فهذه هي الطريقة المثلى للمباهلة لمن أراد التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أدعو الدكتور للتباهل في النصوص الشـرعية أولاً لأنه يظهر من كتابات ومؤلفات كثير من المؤرخين الإسلاميين اليوم أنهم يريدون التحاكم لمظالم بعـض السلف ولا يريدون التحاكم إلى النصوص الشرعية وكأنهم يخشون أن (يحيف الله عليهم ورسوله) !.

المقال الرابع عشر:

هل الدكتور من النواصب؟!

من حق الدكتور أن يتساءل – وقد فعل – إن كانت أفكاري تتفق مع المبتدعة (يعني الشيعة) أو المستشرقين أو تختلف معهم! ونوع هذا الاتفاق أو الاختلاف!كما أنه من حقي أن أتساءل إذا كانت أفكار الدكتور تتوافق مع أفكار (النواصب!) والمستشرقين؟! أو ما مدى هذا الاتفاق – إن وجد!– وما أسبابه؟! وأنا من الذين يحبون طرح كل الأفكار فوق بساط البحث والمناقشة، فلا أرى مانعاً من أن نبحث بحثاً علمياً في فكر فلان أو توجهه لكن بشرطين:

الأول : العلمية وإرادة الحق.

والثاني : أن نقبل من الآخرين أن يدرسوا أفكارنا ويحكموا عليها مثلما رضينا لأنفسنا أن نبحث في أفكار الآخرين وعقائدهم ونحكم عليها؟!.

أما أن تترك لنفسك الحكم بكل باطل على اعتقادات الآخرين وتمنعهم الفرصة من الحكم على معتقداتك فهذا ظلم إضافة إلى أنك قد تكون على معتقد فاسد وأنت لاتدري؟! وأكثر المبتدعين لم يجعلهم مستمرين في البدعة إلا جمودهم على التقليد لبعض الناس! و إصرارهم على التمسك بالباطل! وعدم قبولهم مناقشته!.واتهامهم لخصوم بدعتهم بالبدعة والضلال حتى يقطعوا عليه استجابة الناس له! وهذا ملاحظ في أحوال المبتدعة في كل زمان ومكان! ومن علاماتهم الكبرى أنهم لايرضون بالتحاكم إلى القرآن والسنة وإنما يحاكمونك إلى أقوال واختيارات رجال يصيبون ويخطئون وفيهم من لاتأمنه على المسألة المبحوثة بسبب الهوى المعروف عنه أو بسبب تأثره بالمؤثرات الخارجية! أو لعلهم لا يختلفون عنهم في البدعة والضلالة! أو أن هؤلاء الرجال لم يجمعوا المسألة و لم يهتموا بدراستها اهتماماً كافيا.

كما تدين تدان!

وبعد هذه المقدمة أحب أن أقول أن (من سل سيف البغي قتل به) ومادام الدكتور العودة وفقه الله قد جاء بالتصريح بعد التلميح على ما يظن من (هوى مع المبتدعة!) و (طعن في الصحابة!) فأنا قد سبق دفاعي ضد هذه الأقوال فمن شاء أن يصدقني فليفعل ومن شاء أن يصدق الدكتور فليفعل وعند الله تجتمع الخصوم.

أما عن الدكتور ومدى اعتناقه مذهب النواصب من عدمه فهذا عندي فيه وقفات قبل الكلام:

الوقفة الأولى : هناك فرق بين الاعتقاد مع العلم وبين الاعتقاد مع الجهل فقد يعتقد الإنسان اعتقاداً باطلاً وهو لا يعرف أن هذا الاعتقاد باطل فيكون جاهلاً والجاهل معذور على قول.

بينما إذا علم الإنسان أن هذا الاعتقاد باطل ثم اتبعه فهذا هو المبتدع وهو الآثم بالإجماع.

والدكتور العودة حسن الظن به أنه لا يعرف معنى النصب حتى نتهمه به! وهذا لا يمنع من أن يقع في بعض الأفكار الناصبية بحسن نية واجتهاد! لأن الدكتور مثله مثل كثير من المؤرخين الإسلاميين في الوطن العربي بل مثله مثل كثير من المدعين لمذهب أهل السنة والجماعة لا يعرفون من السنة ولا من النصب ولا من التشيع إلا الأسماء فقط! وقد يخلطون هذا بهذا لأن المصطلحات عندهم فيها غموض شديد ويكتفون عنها بتقليد من (يظنون) ــ فقط ــ أنه على المعتقد الصحيح! وعلى هذا فقد يقع أحدهم في البدعة من حيث لا يشعر! ولعل الدكتور العودة من هؤلاء، لأننا لا نتهمه بتعمد النصب ولا معرفته!.

الوقفة الثانية :

يجب الخوف من النصب أكثر من الخوف من التشيع لأن التشيع قد حُذِرنا منه كثيراً حتى أصبحت محبة علي وأهل بيته جرماً يستحق مرتكبه التبديع والتضليل! بعكس النصب الذي يسرح ويمرح تحت عباءتنا (عباءة أهل السنة والجماعة) ! و لم يجد منا تحذيراً ولا دراسةً لا بحثاً بل أصبحنا – تلقائياً – نحارب من يحذر منه ونتهمه بالتشيع! ومن علامات النواصب أنهم يتهمون مخالفيهم بالتشيع! أما النصب عندهم فقد انتهى بنهاية الدولة الأموية! ومن النواصب من يحذر من النصب (نظريا) ويمارسه عمليا! لأنه ــ كما سبق ــ لا يعرف معناه ومن الطبيعي جداً أن الإنسان إذا كان لا يعرف ذنبا فإنه كثير الوقوع فيه! ومن

علامات المبتدعة أنهم لا يطاوعون المختلف معهم في التحاور والبحث وإنما يستعدون عليه السلطة! ويشعرونها بأن هذا حماية للعقيدة! ويدخلونها في أمور من المفترض أن يختص بها أهل العلم لأن مكانها ليس بلاط السلطان وإنما مكانها كتب الصحاح والسنن وكتب الجرح والتعديل! وهم بشكواهم إلى السلطان يكونون قد حققا مصلحتين!

الأولى : إيهامهم السلطان أنهم معه.

الثانية : قهر خصومهم ولو كانوا محقين لأن السلطة إذا كانت مع أحد المتحاورين فلابد أن ينتصر ولو مؤقتا.

وبهذه الأساليب غير الشرعية نجح كاتموا الحقيقة في كثير من الأمور! فكم من كتاب قيم لا يوجد في مكتباتنا من أجل ملحوظة أو اثنتين، وكم من كتاب سيئ يجد كل تيسير،كل هذا بسبب عدم توفر العلمية والمنهجية عندنا ولو كانت عندنا المنهجية لما سحب كتاب موسوعة فقه ابن تيمية للدكتور محمد رواس قلعه جي لأن المؤلف ذكر أن ابن تيمية بشر يخطئ ويصيب! بينما تفسح الكتب التي فيها تكفير أبي حنيفة والمبالغة في المدح والثناء والتعظيم والتبجيل للفسقة والظلمة أمثال يزيد والحجاج! وتفسح الكتب التي تقول أن علياً كان ملكاً ظالماً! وأنه قاتل للرياسة وحطام الدنيا ولم يقاتل للدين! وأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تشبه المنافقين وتغضب من تطبيقات أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) ! فاتقوا الله وانظروا ماذا تقولون؟! وماذا تفعلون؟! وماذا تعتقدون؟!

التشيع ألفت المؤلفات في التحذير وكتبت المقالات والتحذير من باطل الشيعة أمر مطلوب إذا لم يتجاوز هذا التحذير إلى النصب! وهذا أمر نغفل عنه كثيراً فقد نحذر من التكفير حتى نقع في الإرجاء ونحذر من الإرجاء حتى نقع في التكفير ونحذر من التعطيل حتى نقع في التجسيم وهكذا وعلى هذا فقد نحذر من التشيع حتى نقع في النصب!.

سمات النصب والنواصب!

الوقفة الثالثة : ما هو النصب؟!

الدكتور العودة وكثير من الدارسين من جميع التخصصات داخل المملكة وخارجها لا يعرفون المعنى الشامل والدقيق للنصب! بمعنى لا يعرفون التعريف الجامع المانع للنصب فهم يظنون أن النصب هو لعن علي بن أبي طالب فقط! وعلى هذا التعريف القاصر فهم يظنون أنهم ماداموا لا يلعنون علياً فهم غير نواصب! بل كثير من الدارسين يظنون أن فرقة النواصب قد انقرضت! وأنه ليس لهم وجود اليوم! وهذا جهل بالتعريف نفسه والذي عليه المحققون من أهل العلم أن النصب والتشيع والإرجاء والاعتزال والتكفير والتعطيل وغيرها من اعتقادات الفرق الإسلامية لم تنقرض أبداً وهي موجودة إلى اليوم عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ومن علمها حجة على من جهلها ولا عكس.

على أية حال: النصب ليس معناه لعن علي بن أبي طالب فقط وإنما يشمل كل انحراف عن علي بن أبي طالب وأهل بيته الذين أثنى عليهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الانحراف عن علي موجود اليوم بكثرة عند كثير من دارسي التاريخ الإسلامي وغلاة العقائديين والنصب مراتب عديدة لعل منها:

١ -تكفير علي أو أحد من أهل بيته كفاطمة والحسن والحسين وأبنائهم الموصوفين بالخير والزهد والعلم.

٢ -سب علي بن أبي طالب سواءً بلعنه صريحاً أو شتمه أو الاستهزاء به.

٣ -تنقصه بأي وجه كان.

٤ -عدم معرفة فضله أو التقليل من ذلك!.

٥ -عدم تصويبه أو الشك في ذلك!.

٦ -عدم الجزم بتصويبه وتخطئة المخالفين له!.

٧ -عدم الالتفات للأحاديث الصحيحة المصرحة بتصويبه وتخطئة من خالفه!.

٨ -تأويل تلك الأحاديث الصحيحة مثلما نجد بعض النواصب يؤول حديث (عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) وهو حديث متفق عليه وهذا لفظ البخاري فتجد

للنواصب فيه تأويلات غير مستساغة ولا تقرها لغة العرب ولا مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ظاهر الحديث والغريب أن هؤلاء النواصب من الذين يحتجون على الأشاعرة والمعتزلة بظواهر النصوص لكنهم إن جاءهم مثل هذا النص الصريح الواضح يؤولونه تأويلات أقبح من تأويلات الجهمية والمعتزلة : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ !.

٩ -المبالغة في مدح بني أمية يعتبر من النصب حتى المبالغة في مدح معاوية بما ليس فيه يعتبر من النصب عند الإمام أحمد على الأقل، فقد سأله ابنه عبد الله عن علي ومعاوية فقال: (اعلم يا بني أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه عن عيب فيه فلم يجدوا فذهبوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلي) !! انظر الفتح (١٠٤/٧) .

فالنواصب عندما يبالغون – وأقول يبالغون – في مدح معاوية فليست هذه المبالغة إلا من باب الكيد لعلي! وإذا أردت أن تعرف النواصب فانظروا ماذا يقولون في معاوية فإذا رأيت الرجل يصحح الأحاديث الباطلة في فضل معاوية أو يحاول تبرئته من الخطأ في حرب علي أو نحو هذا فاعلم أنه ناصبي ! أو فيه شيء من النصب!كما إذا رأيت الرجل يبالغ في علي وأقول يبالغ في علي ويصحح الأحاديث الباطلة في فضله فاعلم أنه شيعي أو فيه تشيع! وهذا الأمر الأخير ننتبه له كثيراً وننسى الأمر الأول! بل إذا رأيت الرجل يصحح الأحاديث الضعيفة والباطلة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان ويضعف الأحاديث الصحيحة والحسنة في فضل علي فاعلم أن فيه نوعاً من النصب! وإذا رأيت الرجل يعكس القضية فاعلم أن فيه نوعا من التشيع!.وهذا أيضاً أمر ننتبه له بعكس الأول!.

أما إذا وصل الأمر للمبالغة في مدح معاوية ويزيد وتنقص علي والحسين فهذا من أقبح النصب وأخبثه بل إذا لم يكن هذا نصباً فليس في الدنيا نصب!

١ -إذا رأيت الرجل يؤول الأحاديث الصحيحة في فضل علي ويصرفها عن معانيها الظاهرة والصحيحة! بلا دليل قوي فاعلم أن فيه نوعاً من النصب! وأنه كره هذا الفضل الذي يؤتيه الله من يشاء!

٢ -إذا رأيتم الرجل يشكك في بيعة علي بن أبي طالب وأنها لا تلزم معاوية فاعلموا أنه ناصبي سواءً كان عالماً بهذا أو جاهلاً.

٣ -إذا رأيتم الرجل يتهم عمار بن ياسر وأمثاله بأنه من أتباع عبد الله بن سبأ فهذا فيه نصب (واسألوا الدكتور العودة عن رأيه في هذه المسألة!) .

٤ -وكذلك إذا رأيتم الرجل يضعف الرواة الثقات بدعوى يسير التشيع أو كثيره فهذا فيه نصب خاصة إذا اقترن ذلك بتوثيقه للنواصب مطلقاً!.

٥ -إذا رأيتم الرجل يوثق النواصب ويأخذ برواياتهم وأقوالهم فهو منهم.

٦ -إذا رأيتم الرجل يعتمد على طعون سيف بن عمر في علي بن أبي طالب وأن السبئية (المزعومة!) تسيره ولا يسيرها وتحكمه ولا يحكمها فاعلموا أنه ناصبي! يريد الطعن في خلافة علي وتبرير خروج معاوية! (وأسألوا الدكتور العودة عن هذه المسألة!) .

٧ -إذا رأيتم الرجل يذم أصحاب علي ويتهمهم بدم عثمان فاعلموا أنه ناصبي يريد من هذا اتهام علي نفسه وتسويغ خروج معاوية! (واسألوا الدكتور أيضاً!) .

٨ -إذا رأيتم الرجل يزعم أن علياً قاتل للرياسة والملك وليس للدين والشرع فاعلموا أن فيه نصباً واضحاً.

٩ -إذا رأيتم الرجل يزعم أن علياً ليس شجاعاً وأن إسلامه لا يصح فاعلموا أنه ناصبي!.

١٠ -إذا رأيتم الرجل يقلل من فضائله ويبالغ في فضائل غيره فاعلموا أنه ناصبي[٦٣].

ونحو هذا فالنصب ليس لعن علي بن أبي طالب بل يدخل فيه أشياء كثيرة كما ترون! وعلى هذا يستطيع القارئ أن يسأل الدكتور العودة (أو غيره) عن عقيدته ولينظر هل تتوافق مع المعتقد الصحيح المتفق مع النصوص الشرعية أم تختلف معها وإنما قلت هنا النصوص الشرعية و لم أعوّل على أقوال الرجال

---

[٦٣] مع أنني لا أحب هذه القواعد ، لكنني أنقلها من باب التحدث بلغة القوم حتى يفهموا أن القواعد ليست في صالحهم كما يظنون.

لأن الرجال يختلفون وفي أكثرهم جهل بهذه الأمور بل لو سألت أحدهم (ما حكم المبالغة في مدح معاوية لقال : هذا جائز أو مستحب!) وهو لا يعرف أن الإمام أحمد يرى أن هذا من النصب!.

على أية حال : قد لا يرى الناصبي الالتزام بأقوال الإمام أحمد وقد يكون معه الحق فنحن لا نلزمه ولا نلزم أنفسنا بإتباع أقوال الرجال إنما نلزم أنفسنا والناس بالعودة إلى النصوص الشرعية لكنني أوردت قول أحمد هنا لأمرين :

١- لأدفع عن أحمد ما نسب إليه الحنابلة من النصب وأن الإمام أحمد ليس مسئولا عن وجود النصب عند بعض المحسوبين على المذهب الحنبلي (عقيدة أو فقهاً) كابن حامد أو ابن بطة أو الجوزجاني وغيرهم من المتقدمين أو المتأخرين!.

٢ -الأمر الثاني : أن كثيراً من الناس عندهم تعلق بأقوال الرجال أكثر من تعلقهم بالنصوص الشرعية فلذلك لا بد أن نطعمهم بأقوال الرجال حتى لا تضيق صدورهم من النصوص الشرعية! وهذا الضيق من النصوص توارثه البعض أباً عن جد من أيام الدولة الأموية وليس وليد الساعة! فقد امتعض الأمويون من حديث عمار ومن الأحاديث في فضل علي ومن الأحاديث في ذمهم واستمر الامتعاض في عسكر وعلماء أهل الشام طيلة القرون الماضية وانتقل هذا الامتعاض إلى غلاة العقائديين من الحنابلة ثم بعض طلبة العلم في العالم الإسلامي الذين يحسنون الظن بالعلماء الشاميين! مثل إحسانهم الظن بغيرهم ونسوا أنهم (أي أهل الشام) لعنوا علياً تسعين سنة وقتلوا الإمام النسائي لأنه ألف كتاب (خصائص علي) واليوم نجدهم يحاربون من (يدافع عن بيعة علي) التي شوهتها كثير من الرسائل الجامعية وكثير من أصحاب سيف بن عمر!.

٣ -والغريب أن الدفاع عن الحجاج ويزيد والوليد بن يزيد وغيرهم من الفسقة والظلمة لا أحد ينكره على مؤلفي تلك الكتب والمبالغين فيهم والذامين لخصومهم من الصالحين بينما تشتعل الدنيا إن دافع بعضهم عن بيعة علي بن أبي طالب (وزعم!) أنها صحيحة وشرعية! وهؤلاء المتلبسون بالسنة هم أخطر على السنة من الروافض، لأن الروافض لا يدّعون أنهم من أهل السنة، أما هؤلاء

فيدعون أنهم هم أهل السنة والجماعة! وقد يقولون هذا عن صدق ظن لا صدق حقيقة، بمعنى أوضح أنهم قد لا يعرفون أنهم نواصب!.

– لأن النصب لا يعرفونه وإنما يسمعون به فقط! وبعضهم يظن أن النواصب هم الخوارج! وهذا الجهل الكبير بالنصب ساهم في انتشاره في بعض الكتب التي قد تكون عندنا مشهورة محببة ككتب محب الدين الخطيب وكتب الخضري وأمثالهم.

– ولا ريب أن سبب انتشار النصب في العالم الإسلامي أجمع هو أنه لا يوجد كتاب يحذر من النصب والنواصب ولو وجد هذا الكتاب لعرف الناس أن النصب مذموم مثل الرفض تماماً لأن الرفض يدور حول بغض الثلاثة والنصب يدور حول بغض علي، لكن التشيع أخف من النصب لأن أصل التشيع زيادة في شيء مشروع وهو محبة علي، وأما النصب فأصله البغض بعينه! فهو محرم أوله وآخره! وبهذا يكون النصب أخطر من التشيع لأن أصله باطل شرعاً بعكس التشيع، فلذلك لا يأنف السني أن يقول أنا من شيعة علي لكنه يغضب إذا اتهم بالنصب، إذن فالنصب يوازي الرفض والتشيع الغالي المذموم لا التشيع المطلق! والتشيع مراتب كما أن النصب مراتب أيضاً، وبعض الروافض أو غلاة الشيعة يظن أن ما يعتقده هو الحق وكذلك بعض النواصب الذين لم يبحثوا عن الحق ويظنون أنهم على الحق.

– وكلا الروافض والنواصب لا يرجعون إلى النصوص الشرعية وإنما يعتمدون على أقوال الرجال أما أهل السنة (الحقة) فإنهم لا يقيمون وزنا لأقوال الرجال إذا عارضت النصوص الشرعية وإنما الوزن للنصوص الشرعية لأن آراء الرجال التي لا تتفق مع النصوص أهواء وجهالات ومظالم أما النصوص فنور وعلم وبرهان.

– إذن فعدم وجود كتب تحذر من النصب والنواصب ساعد في انتشار النصب وهذا ملاحظ تماماً فإنك إذا لم تحذر من ذنب فإنه ينتشر، وتصوروا لو لم يكن هناك كتب تحذر من المخدرات أو الزنى أو السرقة لما عرف الناس حرمتها ولانتشرت انتشاراً كبيراً ولو لم تكن هناك فتاوى تبين أوجه الربا محرمة لوقع الناس في هذه الأوجه أو بعضها.

إذن فنحن بحاجة إلى كتب تحذرنا من النصب وتبينه لنا مثلما تحذرنا من غلو التشيع تماماً فنحن نقرأ في بعض كتب العقيدة (البراءة من الروافض والنواصب) فتعلمنا عقائد الروافض لنجتنبها لكننا إلى الآن لا نعرف ما هي عقائد النواصب لنجتنبها؟! ومن السهولة على النواصب هنا أن يحرفوا المقصد ويقولوا هذا يطعن في علم البلد ومؤسساته ورجاله وعلمائه! وأننا لسنا بحاجه إلى من ينصحنا فالأمور تمشي تماماً! وهذا سيفتح باباً للتشكيك في عقائد الناس!

أقول : ونسي هؤلاء أنهم هم الذين يشككون في عقائد الآخرين بالباطل ولا يقبلون من الآخرين أن يقدموا الأدلة والبراهين على صحة أقوالهم ! فيكونون بهذا قد جمعوا مظالم شتى من تحريف مقصد طالب العلم الذي يطلب الحقيقة وينشدها إلى استعداء الجهات الرسمية عليه بالإضافة إلى الغرور العلمي والزعم بأننا لسنا بحاجة إلى من يبين لنا أخطائنا! ولا ريب أن وضع طالب الحقيقة سيكون صعباً إذا كان الأمر بهذه الصعوبة وبهذا الظلم من الذين يزعمون أنهم إخوانه في الله وأنهم طلبة علم لا يقدمون على الدليل شيئاً ولا يتبعون الأساليب غير الشرعية في محاربة الحقيقة!

أعود وأقول : إن الرفض والنصب كجناحي طائر لا بد من التحذير منهما جميعاً لأن التحذير من أحدهما دون الآخر يسبب الوقوع في هذا الآخر كما سبق في التكفير والإرجاء أو سائر المتضادات التي لا يجوز أن تحذر من شيء إلا وتحذر من ضده السيئ لكننا في النصب والتشيع لا نفعل هذا كما أن الروافض[٦٤] يحذرون من النصب حتى أدخلونا – أهل السنة — في النواصب! بل أدخلوا في النواصب أبا بكر وعمر وعثمان! ونحن نحذر من التشيع حتى أدخلنا بعض أهل السنة فيهم! وما أشبه غلاة السنة والروافض اليوم والنصارى الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿وقالت ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست على شيء وهو يتلون الكتاب..﴾ .

---

[٦٤] كنت أطلق لقب (الروافض) على غلاة الشيعة كثيراً، أما الآن فغالباً أستخدم لفظة (غلاة الشيعة) وأحاول أن أتجنب كلمة (الرافضة) ثم الغلو بعد ذلك مراتب، وسبب تجنبي في الفترة الأخيرة لفظة (الروافض) أن المعنى الأصلي للكلمة هو (رفض زيد بن علي بن الحسين) فمن رفض نصرته أو رأى عدم شرعية القتال معه فهو رافضي في المعنى القديم للكلمة بدلالة قول زيد (أرفضتموني؟! اذهبوا فأنتم الرافضة) ولو قاتلوا معه لما سموا رافضة وإن بقوا على البراءة من الشيخين لكن سيلزمهم الغلو الشيعي، وعلى هذا فكثير من غلاة السنة ممن لا يرى نصرة زيد بن علي ولا أحقيته يكون (رافضياً) بالمعنى القديم للرفض.

أقول هذا حرصاً على مذهب أهل السنة أن ينجرف في تيارات الصراع انجرافاً غير متوازن، والتوازن الذي أريده هو مع النصوص الشرعية لا مع كتب العقائد والردود المتبادلة بين فرق المسلمين لأن كتب العقائد ليست حجة على النصوص الشرعية وإنما النصوص الشرعية هي الحجة والذي يتمسك بكل ما قالته كتب العقائد سيضر نفسه لأنها متناقضة أولاً في كثير من الأمور ومنها أمرنا هذا ولأنها تتأثر بالصراع بينما النصوص الشرعية لا تتأثر بهذا ولا أستطيع أن أذكر أمثلة على الخلل في بعض كتب العقيدة لأن هذا قد كفاني إياه بعض المنصفين(٦٥) ونبهوا لهذا والحمد لله.

(٦٥) أقصد مثل الشيخ القاسمي والإمام المقبلي ولكن نقدهم ليس لكتب العقيدة وإنما لأخطاء كتب العقائد وأخطاء بعض السلف المدونة في كتب العقائد وكتب الرجال وغيرها، ثم أخرجت في هذا الموضوع كتاب (قراءة في كتب العقائد – المذهب الحنبلي نموذجاً) وقد لقي نجاحاً كبيراً والحمد لله.